رواية تاريخية

سر قرطبة

إسحاق الجابري

سر قرطبة

رواية تاريخية

إسحاق الجابري

عنوان الكتاب
سر قرطبة

تأليف
إسحاق الجابري

الطبعة
الأولى 2025

ناشر إلكتروني:
منشورات الواحة

التدقيق اللغوي والإخراج الداخلي:
الحذقة لخدمات ما قبل الطباعة
Whats: +967779284583

©جميع الحقوق محفوظة
يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني فقط مع تضمين وسم: (#سر_قرطبة).
ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

إهداء

إلى كل باحثٍ عن الحقيقة في أزقّة التاريخ...

إلى أرواحِ قرطبة التي لا تزال تهمس بأسرارها بين الجدران العتيقة...

تمهيد

في قلب الأندلس الزاهرة، وفي أوج عصرها الذهبي، كانت قرطبة منارةً للعلم والثقافة، ولكنها أيضًا كانت مسرحًا لصراعاتٍ خفية ومؤامراتٍ نُسجت في دهاليز السلطة.

هذه الرواية ليست مجرد سردٍ لأحداثٍ تاريخية، بل هي رحلة في أعماق النفس البشرية، بين اليأس والأمل، وبين الخوف والشجاعة، وبين سطوة المعرفة وغموض الأسرار.

ندخل عالم "عمر"، الناسخ الشاب الذي تعثّر بمخطوطٍ قديم، لم يكن يدري أنه سيقوده إلى قلب مؤامرةٍ تهدّد عرش الخلافة ومستقبل الأندلس بأسرها.

وبجانبه "زينب"، الفتاة الذكية والجريئة، التي وجدت نفسها متورطةً في هذه الأحداث، لتكتشف قوتها الداخلية وتخوض صراعًا بين واجبها ومشاعرها.

"سر قرطبة" هي دعوةٌ لاستكشاف تلك الحقبة الغنية بالتفاصيل، وللتفكير في أسئلةٍ لا تزال تتردد أصداؤها حتى يومنا هذا: ما قيمة الحقيقة في زمن الخداع؟ وكيف يمكن للحب والعلم أن يزهرا حتى في أحلك الظروف؟

نأمل أن تستمتعوا بهذه الرحلة عبر أزقّة قرطبة وشوارعها، وأن تعيشوا مع شخصياتها لحظاتِ التشويق والدراما والأمل.

الفصل الأول

شمس قرطبة وناسخ الأحلام

كانت شمس قرطبة الذهبية، تلك التي تغنّى بها الشعراء ورسمها الفنانون، تنسج خيوطها الأولى على أسطح المنازل البيضاء المتلاصقة كحبات لؤلؤ في عقدٍ فريد.

تسللت أشعتها الدافئة عبر الأزقّة الضيقة المتعرجة، باعثةً الحياة في مدينة بدأت تستيقظ على إيقاعها الخاص.

هنا، في قلب هذه الحاضرة الأندلسية النابضة، عاصمة الخلافة الأموية في أوج مجدها تحت حكم الخليفة المستنصر بالله الحكم الثاني، كانت الحياة تدبّ ببطءٍ وحيوية.

اختلطت أصوات المؤذنين من مآذن المسجد الجامع الشاهق بنداءات الباعة المتجولين الذين بدأوا يعرضون بضاعتهم، من التين الطازج والزيتون المبارك إلى الأواني الفخارية المزخرفة والعطور الشرقية الفوّاحة.

رائحة الخبز الطازج المنبعثة من الأفران القريبة امتزجت بعبق الياسمين المتدلّي من شرفات المنازل، وبخفوت، برائحة الورق العتيق والحبر التي تميّز زقاق الورّاقين.

في قلب هذا الزقاق تحديدًا، حيث تتراص دكاكين النساخ والخطاطين وباعة الكتب كخلايا نحلٍ معرفية، كان يجلس عمر، الشاب الذي تجاوز العشرين بقليل، منكبّاً على طاولة خشبية منخفضة في دكّانه الصغير المتواضع.

لم يكن الدكّان يتسع إلا له ولطاولته ورفوفٍ قليلة ازدحمت بالمخطوطات المنسوخة بعناية، لكنه كان عالمه الخاص، ملاذه الذي يهرب إليه من صخب الحياة وضيق الحال.

كانت أصابعه الرشيقة، الملطّخة دائمًا ببقع الحبر الأزرق والأسود، تتحرك بخفةٍ ودقة على صفحةٍ من الرقّ المصقول، ترسم الحروف العربية المتشابكة برشاقة فنان، وكأنها تراقص لحنًا صامتًا لا يسمعه سواه.

كان ينسخ اليوم فصلاً من كتاب "الحيوان" للجاحظ، يتأمل دقة الوصف وعمق الملاحظة، ويحلم سرًا بأن يخطّ يومًا ما كتابًا خاصًا به.

ورث عمر مهنة النسخ عن أبيه الذي توفي قبل سنوات، تاركًا له هذا الدكان الصغير وديونًا قليلة.

لم تكن المهنة تدرّ عليه الكثير، لكنها كانت تكفيه لسدّ رمقه وتوفّر له متعة لا تُقدّر بثمن: القراءة.

فكل مخطوطٍ ينسخه كان بمثابة نافذةٍ يطل منها على عوالم الفكر والأدب والعلم التي ازدهرت في قرطبة.

كان يلتهم دواوين الشعر الأندلسي، ويغوص في نقاشات الفلاسفة كابن رشد وابن باجة، ويتابع بشغفٍ آخر ما توصّل إليه الأطباء والفلكيون في بلاط الخليفة.

كان يحلم بالالتحاق بإحدى المدارس الكبرى المحيطة بالمسجد الجامع، أو حتى بزيارة مكتبة الخليفة الأسطورية التي قيل إنها تضم مئات الآلاف من المجلدات،

لكن واقعه كان يفرض عليه البقاء حبيس هذا الدكّان الصغير، ناسخًا لأحلام الآخرين.

في ذلك الصباح، وبينما كان عمر يراجع دقة النسخ في صفحةٍ أنهاها لتوّه، قاطع تركيزه ظلّ طويل أُلقي على مدخل الدكان.

رفع رأسه ليرى رجلاً وقورًا، تبدو عليه علامات الثراء والنفوذ، يقف عند الباب.

كان يرتدي جُبّة من الحرير الدمشقي الفاخر، وعمامةً بيضاء ناصعة، وتفوح منه رائحة المسك والعنبر التي تدلّ على مكانةٍ رفيعة.

عرفه عمر على الفور، إنه إسحاق بن مروان، أحد وجهاء المدينة الأثرياء، تاجر كبير له علاقات متشعّبة تمتد إلى داخل أسوار مدينة الزهراء، قصر الخلافة الباذخ.

كان إسحاق زبونًا قديمًا، يأتيه بين الحين والآخر طالبًا نسخ مخطوطاتٍ نادرة أو عقودٍ تجارية معقّدة، ويدفع بسخاء،

لكنه كان دائمًا متحفّظًا وقليل الكلام.

نهض عمر سريعًا، ونفض عن ثوبه بعض غبار الورق، وقال باحترام: "أهلاً وسهلاً بك يا سيدي إسحاق. تفضّل، الدكّان ينيره حضورك".

دخل إسحاق بن مروان، وألقى نظرةً سريعة وفاحصة على المكان الضيّق، وكأنه يقيم بضاعته قبل شرائها.

لم تظهر على وجهه أي علامات استحسانٍ أو استياء، فقط تلك النظرة الباردة المحايدة التي اعتادها عمر منه.

جلس على المقعد الخشبي الوحيد المتاح، والذي أسرع عمر بمسحه بقطعة قماش.

لم يردّ إسحاق على ترحيب عمر، بل قال مباشرةً بصوتٍ هادئٍ ولكنه يحمل نبرةً آمرة لا تخطئها الأذن:

"لديّ عملٌ لك يا عمر. عمل مهم... وسريّ للغاية".

شعر عمر بنبضة قلقٍ خفيفة تسري في صدره.

كلمة "سريّ" لم تكن جزءًا من مفردات إسحاق المعتادة في طلباته السابقة.

ماذا يمكن أن يكون هذا العمل السريّ الذي يأتي به رجلٌ بمكانة إسحاق إلى ناسخٍ متواضع مثله؟

قال بحذر، محاولاً إخفاء توتره:

"أنا في خدمتك دائمًا يا سيدي. ما هو هذا العمل الذي تأمر به؟"

لم يجب إسحاق مباشرة. ألقى نظرةً أخرى خارج الدكان، تأكد من خلو الزقاق من المارة،

ثم انحنى قليلاً نحو عمر، وأخرج من تحت جبّته الفاخرة لفافةً من الجلد الداكن، بدت قديمة ومهترئة الأطراف،

على عكس مظهر صاحبها الأنيق.

وضعها على الطاولة أمام عمر بحذرٍ شديد.

"هذا مخطوط قديم ونادر جدًا"، قال إسحاق بصوتٍ خفيض، وعيناه تحدّقان في عمر بتركيزٍ شديد.

"أريدك أن تنسخ منه نسخةً واحدة فقط، بأسرع وقت ممكن. أريدها خلال ثلاثة أيام لا أكثر.

والأهم من ذلك، أريد دقةً متناهية وسرّيةً مطلقة.

لا أريد لأيّ مخلوق أن يعلم بأمر هذا المخطوط، ولا أن يراك أحد وأنت تعمل عليه.

اعمل هنا في دكانك، وأغلق عليك الباب جيدًا.

هل كلامي واضح؟"

تناول عمر اللفافة بيدين مرتعشتين قليلاً، ليس فقط من رهبة الموقف، بل أيضًا من ملمس الجلد الغريب،

كان باردًا وجافًا، وتفوح منه رائحة غريبة تشبه مزيجًا من الغبار والبهارات القديمة.

فضّ اللفافة بحذر، ليكتشف مخطوطًا صغيرًا نسبيًا، أوراقه صفراء وهشّة، تكاد تتفتّت عند لمسها.

كان النص مكتوبًا بخطّ قبطيّ قديم، أو ربما لهجة أمازيغية منسيّة، بحبرٍ بنّيّ باهت كاد أن يمحوه الزمن في بعض المواضع.

لم يتمكّن عمر من قراءة العنوان، إن كان له عنوانٌ أصلاً، ولم يفهم شيئًا من محتوى الصفحات الأولى التي تصفّحتها عيناه بسرعة.

لكنه شعر بهالةٍ من الغموض والقوة تنبعث من هذا الكتاب الصغير،

شعورٍ بأن هذا ليس مجرّد نصّ قديم، بل شيء أعمق وأخطر.

"ما... ما هذا المخطوط يا سيدي؟"

سأل عمر بصوتٍ متقطّع، مدفوعًا بفضولٍ لم يستطع كبحه.

ضاقت عينا إسحاق قليلاً، وارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة باردة.

"ليس من شأنك أن تعرف محتواه يا فتى. مهمتك هي النسخ فقط. الدقة، السرعة، والسرية التامة. هل فهمت؟"

شدّد على الكلمة الأخيرة بنبرة لا تحتمل الجدال.

أومأ عمر برأسه بسرعة، وقد ابتلع فضوله.

"نعم، نعم يا سيدي. أمرك مطاع. الدقة والسرعة والسرية. سأبدأ العمل عليه فورًا، وسيكون جاهزًا في الموعد المحدد بإذن الله".

"جيد،" قال إسحاق وهو ينهض. "سأعود بعد ثلاثة أيام بالضبط لأخذ النسخة والمخطوط الأصلي. وإذا كان عملك متقنًا وسريتك مضمونة، فسأكافئك بسخاء لم تحلم به من قبل. ولكن..".

توقّف إسحاق عند الباب، والتفت إلى عمر بنظرةٍ تحمل تحذيرًا جليديًّا،

"إذا خنت هذه الثقة، أو تسرّب خبر هذا المخطوط، فلن تجد من يحميك في قرطبة كلها. هل فهمت عواقب الفشل؟"

شعر عمر بالقشعريرة تسري في ظهره. أومأ برأسه مرةً أخرى دون أن ينطق بكلمة.

غادر إسحاق الدكان بنفس الهدوء الذي دخل به، تاركًا وراءه رائحة المسك والعنبر، ولفافةً جلدية غامضة، وشابًّا ناسخًا يشعر بأن حياته الهادئة قد انقلبت رأسًا على عقب.

بقي عمر وحده مع المخطوط، يحدّق فيه بعينين متسعتين.

ما سرّ هذا الكتاب الذي يتطلّب كل هذه السرية وهذا التهديد؟ ولماذا اختاره إسحاق بن مروان، التاجر الثري ذو العلاقات الواسعة، لهذه المهمة الخطيرة؟

هل هو مجرد مخطوط فلسفي نادر كما بدا له للوهلة الأولى؟ أم أنه يُخفي بين طياته أسرارًا سياسية أو دينية يمكن أن تهز أركان قرطبة؟

تذكر الهمسات التي كان يسمعها أحيانًا في أزقة المدينة عن صراعاتٍ خفية بين الفصائل المتنافسة في البلاط، خاصة بين النخب الأندلسية القديمة والصقالبة الذين ازداد نفوذهم مؤخرًا.

وتذكر أيضًا الحديث عن كتبٍ ممنوعة وجماعاتٍ سرية تُناوئ السلطة أو تدعو لأفكارٍ تعتبرها المؤسسة الدينية هرطقة.

هل يمكن أن يكون هذا المخطوط مفتاحًا لأحد هذه الأسرار؟

نفض عمر هذه الأفكار المخيفة عن رأسه بصعوبة.

يجب أن يركّز على مهمته. النسخ بدقة وسرية. هذا هو دوره، وهذا ما يجب عليه فعله.

لكن بذرة الفضول والخوف كانت قد زُرعت عميقًا في عقله، وبدأ يشعر بأن الأيام الثلاثة القادمة لن تكون كأيّ أيامٍ مضت في حياته.

الفصل الثاني

همسات في الهامش وصدى الحكمة

انقضى اليوم الأول، وعمر حبيس دكانه الصغير، غارقًا في عملية النسخ المُضنية للمخطوط الغامض. لم تكن مهمة سهلة على الإطلاق؛ فالرقّ القديم كان هشًّا يتطلّب لمسة حانية، والحبر البنيّ الباهت كان يتلاشى في بعض المواضع، مُجبِرًا عمر على تقريب القنديل الزيتي من الصفحة حتى كادت شعلته تلامسها، محاولاً تمييز الحروف المتآكلة. الخطّ نفسه كان تحدّيًا آخر؛ مزيج غريب من القبطية المتأخرة وربما بعض الرموز الأمازيغية القديمة، يتطلّب فكّ طلاسم كل كلمة قبل نقلها بعناية إلى الرق الجديد المصقول، الذي اشتراه خصيصًا لهذه المهمة.

كان عمر يعمل بتركيز شديد، محاولاً تجاهل الأفكار المُقلقة التي بدأت تتسلّل إلى عقله حول طبيعة هذا النص وسرّية صاحبه.

حاول أن يرى في المهمة مجرّد تحدٍّ لمهاراته كناسخ، فرصة لإثبات جدارته أمام زبون مهم مثل إسحاق بن مروان.

ومع كل صفحة يُنجزها، كان يشعر بمزيج من الإرهاق والفخر، ولكنه أيضًا كان يشعر بشيء آخر... شعور غريب بأن هذا النص يتحدث إليه بطريقة ما، ليس فقط بمحتواه الظاهري الذي بدأ يفهم بعض أجزائه الفلسفية الغامضة، بل بشيء أعمق، شيء مخبّأ بين السطور.

كان النص يتحدّث عن "النفس الكلية" و"الفيض الإلهي" و"ارتقاء الروح عبر المعرفة الباطنة". كانت أفكارًا عميقة، تختلف عن النقاشات الفقهية أو الأدبية التي اعتاد نسخها.

ذكرته ببعض الأفكار التي قرأها خلسةً في شذرات منسوبة لأفلاطون المُحدَث أو هرمس الهرامسة، أفكار كانت تُعتبَر مثيرة للجدل في الأوساط الدينية الرسمية.

هل كان إسحاق بن مروان، التاجر الثري والوجه الاجتماعي البارز، مهتمًّا سرًّا بهذه الفلسفات الباطنية؟ أم أن الأمر يتجاوز مجرد الاهتمام الفكري؟

في ظهيرة اليوم الثاني، وبينما كان ينسخ فصلاً يبدو أنه يناقش "عوائق الجسد أمام إشراق الروح"، لاحظ عمر شيئًا لم ينتبه له من قبل. في الهامش الأيسر لإحدى الصفحات، وتحت زخرفة نباتية

بسيطة، كانت هناك علامات دقيقة للغاية، مرسومة بحبر أسود باهت، يختلف قليلاً عن الحبر البنيّ للنص الأصلي.

لم تكن مجرّد نقاط أو خطوط عشوائية، بل بدت كرموز صغيرة ومنظمة، مكرّرة بنمطٍ معيّن.

توقّف عمر عن النسخ، وشعر بقلبه يخفق بقوة. اقترب من الصفحة، وعيناه تُحدّقان في تلك العلامات الدقيقة. لم تكن حواشي تفسيرية أو تصحيحات كما هو معتاد في المخطوطات القديمة، بل كانت أصغر وأكثر تعقيدًا، وكأنها شيفرة مقصودة، همسة سرية في هامش النص الصاخب بأفكاره.

حاول مقارنتها بالحروف العربية أو اللاتينية أو حتى العبرية، التي يعرف بعض أشكالها من تعامله مع نصوص مختلفة، لكنها لم تُطابق أيًّا منها.

كانت أشبه برسوم هندسية مصغّرة: دوائر صغيرة، مثلثات متداخلة، خطوط متعرجة، تتكرّر بترتيب بدا له ذكيًّا ومقصودًا.

تذكّر تحذير إسحاق بن مروان حول السرية المطلقة. هل هذه هي الرسالة الحقيقية التي أراد نسخها؟

هل النص الفلسفي الظاهر مجرد غطاء لسرٍّ أعمق وأخطر؟

ازداد فضوله أضعافًا مضاعفة، لكن شعورًا بالخطر الحقيقي بدأ يتسرّب إلى نفسه هذه المرة.

لم يعُد الأمر مجرّد قلق غامض، بل خوف ملموس.

إذا كان هذا النص يحمل سرًّا مُشفَّرًا، فمن المؤكد أنه سر خطير، ومجرّد الاطلاع عليه -ناهيك عن محاولة فك رموزه- قد يُعرّضه لمشاكل تفوق قدرته على الاحتمال.

هو مجرد ناسخ بسيط، لا يملك حماية ولا نفوذًا.

حاول عمر جاهدًا تجاهل الرموز والعودة إلى مهمته الأساسية: النسخ. قال لنفسه: "أنا ناسخ فقط. أنقل ما أراه. ليس من شأني فهم الأسرار أو كشف الشيفرات".

لكن عقله أبى أن يهدأ. ظلّت صورة الرموز تطارده، تُثير فضوله وتُؤجّج قلقه.

ما الذي يمكن أن تحتويه هذه الهمسة في الهامش؟

هل هي مفتاح لفهم النص الأصلي الغامض؟ أم أنها رسالة منفصلة تمامًا، تُخفي سرًّا سياسيًّا أو دينيًّا يمكن أن يُقلب الأمور رأسًا على عقب؟

مع حلول المساء، وبعد أن أغلق دكّانه المتواضع وأطفأ قنديله، لم يستطع عمر مقاومة الإغراء.

قام بنسخ الصفحة التي تحتوي على الرموز على قطعة صغيرة من الرقّ، وأخفاها بعناية تحت عمامته، ثم توجّه عائدًا إلى منزله الصغير في أحد أحياء قرطبة الشعبية المزدحمة.

لم يكن منزله سوى غرفة واحدة متواضعة، تفترشها حصيرة بالية، وتضم صندوقًا خشبيًّا لملابسه القليلة، وموقدًا صغيرًا للطهي.

أشعل قنديلاً زيتيًّا آخر، وجلس على الحصيرة، ووضع أمامه قطعة الرق التي تحمل نسخة الرموز.

قضى ساعات طويلة في تلك الليلة، يُقلب الورقة، يرسم الرموز مرارًا وتكرارًا على قطع أخرى من الورق الرخيص، يحاول ترتيبها بطرق مختلفة، يبحث عن أي نمط، أي تكرار، أي مفتاح قد يفتح له باب هذا اللغز.

جرّب مقارنتها بأشكال الحروف في الأبجديات القديمة التي يعرفها، جرّب قراءتها من اليمين لليسار، ومن اليسار لليمين، ومن الأعلى للأسفل.

لكن كل محاولاته باءت بالفشل.

بدت الرموز صمّاء، ترفض البوح بسرّها.

شعر بالإحباط والتعب يغلبانه. كاد أن يمزّق الورقة ويستسلم، لولا أن لمعت في ذهنه فكرة أخيرة، كبصيص أمل في ليلٍ طويل.

تذكّر الأستاذ داود، العالِم اليهودي الحكيم الذي قابله قبل فترة وجيزة في سوق الوراقين، والذي كان يتردد أحيانًا على دكّانه.

داود، الرجل ذو اللحية البيضاء والعينين الثاقبتين، الذي يعرف الكثير عن اللغات القديمة والكتب النادرة والرموز المنسية.

ربما... ربما يمكن لداود أن يساعده، أو على الأقل أن يوجهه. لكن التردد عاوده بقوة. تحذير إسحاق بن مروان كان واضحًا وصريحًا: "سرية مطلقة". هل يمكنه حقًا أن يثق بالأستاذ داود، مهما بدا

حكيمًا وودودًا؟ إنه في النهاية غريب، وينتمي إلى طائفة أخرى، وقد يكون له ولاءات أو ارتباطات لا يعرفها عمر. وإذا علم إسحاق بأن عمر كشف السر لشخص آخر، فإن التهديد المُبطن الذي لمح إليه قد يصبح حقيقة مروعة.

أمضى عمر بقية ليلته يتقلب على حصيرته، يصارع أفكاره، يوازن بين فضوله النهم وخوفه المتزايد. هل يستحق كشف هذا السر كل هذه المخاطرة؟ أليس من الأفضل له أن يُنهي مهمة النسخ، ويحصل على مكافأته السخية، وينسى أمر هذا المخطوط ورموزه إلى الأبد؟

لكن شيئًا في داخله رفض هذا الخيار. لم يكن مجرد فضول، بل كان شعورًا بأن القدر قد وضع أمامه لغزًا يجب حله، سرًا يجب كشفه. ربما كان هذا هو الاختبار الحقيقي الذي طالما حلم به، فرصة ليثبت لنفسه أنه أكثر من مجرد ناسخ بسيط.

مع بزوغ فجر اليوم الثالث والأخير للمهمة، اتخذ عمر قراره. سيذهب إلى الأستاذ داود. لكنه سيكون حذرًا للغاية. لن يُطلعه على المخطوط الأصلي، ولن يذكر اسم إسحاق بن مروان أبدًا. سيعرض عليه فقط نسخة الرموز التي أعدها، وسيدعي أنه وجدها في مخطوط قديم غير مهم، ويسأله إن كان يعرف شيئًا عنها من باب الفضول العلمي البحت. كانت خطة محفوفة بالمخاطر، لكنها بدت له الخيار الوحيد المتاح.

ارتدى عمر ملابسه النظيفة الوحيدة، وأخفى قطعة الرق الصغيرة بعناية، وتوجه بخطى متثاقلة نحو حيّ اليهود. كان الحيّ يقع في جزء آخر من المدينة، له طابعه الخاص، بأزقته الضيقة ومنازله المتلاصقة التي تُزيّن شرفاتها نقوش نجمة داود، وبكنيسه الصغير الذي تعلوه قبة متواضعة. كان يومًا مشمسًا، والسوق الصغير في قلب الحي يعج بالحياة، تجار يهود يعرضون بضاعتهم من التوابل والأقمشة والمصوغات، وأطفال يلعبون في الأزقة، وعلماء دين بملابسهم المميزة يتناقشون بهدوء.

سأل عمر أحد المارة عن منزل الأستاذ داود العالم، فدله الرجل على بيت صغير ولكنه أنيق، يقع في زقاق هادئ، له باب خشبي متين مزخرف بنقوش هندسية جميلة. تردد عمر للحظات أمام الباب، ثم جمع شجاعته وطرق طرقًا خفيفًا.

بعد لحظات قليلة، فُتح الباب، وظهر الأستاذ داود بنفسه. كان يرتدي قفطانًا بسيطًا، وعلى رأسه قلنسوة صغيرة. ابتسم ابتسامة ودودة حين رأى عمر، وبدت عيناه الذكيتان تلمعان بفضول خلف نظارته الصغيرة.

"أهلاً بك يا بني عمر"، قال الأستاذ داود بصوت هادئ ودافئ، "ما الذي أتى بك إلى حينا في هذا الصباح؟ هل ضللت طريقك في أزقة قرطبة؟"

تفاجأ عمر مرة أخرى بأن الأستاذ يتذكره جيدًا ويعرف اسمه. شعر ببعض الارتياح لهذا الترحيب الودي. قال بصوت خفيض، محاولاً أن يبدو طبيعيًا قدر الإمكان:

"صباح الخير يا أستاذ داود. أعتذر عن المجيء دون موعد، لكنني كنت بحاجة ماسّة إلى مشورتك وحكمتك في أمر صغير حيّرني".

اتسعت ابتسامة الأستاذ داود قليلاً.

"المشورة والحكمة لا تحتاجان إلى موعد يا بني. تفضل، تفضل بالدخول. البيت بيتك، والمعرفة متاحة لمن يطلبها بصدق".

أفسح الأستاذ داود المجال لعمر ليدخل. وجد عمر نفسه في غرفة استقبال بسيطة ولكنها تشع بالدفء والنظام. الجدران كانت مغطاة برفوف خشبية تمتد من الأرض إلى السقف، مكتظة بآلاف الكتب والمخطوطات، بعضها بالعبرية والآرامية، وأخرى بالعربية واليونانية واللاتينية. كانت رائحة الكتب القديمة تملأ المكان، ممزوجة بعبق الأعشاب العطرية التي كانت معلقة في زوايا الغرفة. في المنتصف، كانت هناك طاولة منخفضة عليها بعض الأوراق المتناثرة وقنديل زيتي لا يزال مشتعلاً.

جلس عمر على وسادة على الأرض كما أشار له الأستاذ داود، الذي جلس مقابله متربعًا. شعر عمر برهبة المكان وبهيبة صاحبه. هذا الرجل لم يكن مجرد عالم يهودي، بل كان بحرًا من المعرفة المتراكمة عبر العصور.

أخرج عمر قطعة الرق الصغيرة من تحت عمامته، ومدّها إلى الأستاذ داود بيد مرتعشة قليلاً، وقال بحذر، متمسكًا بقصته الملفقة:

"كنت أنسخ مخطوطًا قديمًا جدًا وغير ذي أهمية كبيرة، ووجدت هذه الرموز الغريبة في أحد هوامشه. أثارت فضولي بشدة، وتساءلت إن كنت قد رأيت مثلها من قبل في دراساتك الواسعة، أو تعرف شيئًا عن معناها أو أصلها".

تناول الأستاذ داود قطعة الرق، ووضع نظارته بعناية على أنفه، وأخذ يتفحص الرموز بدقة وتركيز شديدين. صمت للحظات طويلة، وقطب حاجبيه الكثيفين، ثم رفع رأسه ونظر إلى عمر نظرة طويلة وفاحصة، نظرة اخترقت أعماق الشاب الواقف أمامه. ثم قال بصوت هادئ، ولكنه يحمل نبرة جدية لم يسمعها عمر منه من قبل:

"هذه ليست مجرد رموز عابرة أو زخارف هامشية يا عمر. هذا نوع قديم ونادر جدًا من الشيفرات... شيفرة معقدة استخدمتها بعض الجماعات الفلسفية أو الباطنية في عصور سابقة لإخفاء تعاليمها وأسرارها عن أعين العامة والسلطات. أين وجدت هذا بالضبط؟ وما هو هذا المخطوط الذي تدّعي أنه غير ذي أهمية؟ أخشى أنك لم تخبرني بكل الحقيقة يا بني".

شعر عمر بالدم يتجمد في عروقه. لقد كشفه الأستاذ داود بسهولة! نظراته الثاقبة وكلماته الواثقة جعلت عمر يشعر بأنه طفل

يحاول إخفاء كذبة سخيفة. ماذا يفعل الآن؟ هل يتمسك بكذبته، أم يعترف بجزء من الحقيقة على الأقل؟ لقد أصبح الأمر أكثر خطورة مما تصور.

الفصل الثالث

وميض في سوق الوراقين

وجد عمر نفسه في موقف لا يُحسد عليه. كان يقف أمام الأستاذ داود، العالم اليهودي الحكيم، وقد انكشفت كذبته الهشّة تحت وطأة نظراته الثاقبة وكلماته الواثقة. شعر بالارتباك يتملكه، وتصبب عرق بارد على جبينه رغم برودة الغرفة المكتظّة بالكتب. هل يعترف الآن؟ هل يكشف عن اسم إسحاق بن مروان وعن التهديد الذي يواجهه؟ أم يتمسك بقصته الملفّقة ويخاطر بفقدان ثقة الرجل الوحيد الذي قد يتمكن من مساعدته؟

بعد لحظة تردد بدت كأنها دهر، قرر عمر أن يختار طريقًا وسطًا. لن يكشف كل شيء، ولكنه سيقدّم ما يكفي من الحقيقة ليحافظ على مصداقيته ويكسب ثقة الأستاذ داود. قال بصوت خفيض، وقد تجنّب النظر مباشرة إلى عيني الأستاذ:

"معك حق يا أستاذ. المخطوط ليس مجرد نص قديم وجدته بالصدفة. إنه... إنه أمانة. طلب مني شخص ذو شأن كبير، لا أستطيع ذكر اسمه خوفًا على حياتي، أن أنسخه له بأقصى درجات السرية. وقد شدد عليّ ألا يطّلع عليه أحد. هذه الرموز وجدتها في هوامشه، وأشعر بأنها تحمل سرًا يتجاوز محتوى النص الفلسفي نفسه. أخشى أن أكون قد تورّطت في أمر يفوقني، ولذلك لجأت إلى حكمتك وخبرتك".

أومأ الأستاذ داود برأسه ببطء، وبدا على وجهه مزيج من التفهّم والقلق. لم يضغط على عمر لمعرفة اسم صاحب المخطوط، بل قال بهدوء:

"أُقدّر صدقك يا بني، وأتفهم حذرك. السرية في قرطبة، كما قلت لك، غالبًا ما تُخفي وراءها صراعات على السلطة أو الفكر، وكلاهما يمكن أن يكون قاتلاً لمن يقترب منه دون حذر. وهذه الرموز..". أعاد النظر إلى قطعة الرق التي يحملها، "نعم، كما توقعت. إنها تنتمي إلى نظام تشفير استخدمته بعض الفرق الباطنية، ربما الإسماعيلية أو جماعات متأثرة بالفلسفة الهرمسية. كانت تُستخدم لنقل تعاليمها السرية أو رسائلها التنظيمية بعيدًا عن أعين الرقباء. محتوى هذه الرموز، إذا تمكنا من فكها، قد يكون خطيرًا جدًا، إما لأنه يتحدى العقائد السائدة، أو لأنه يكشف عن خطط سياسية معينة".

زاد قلق عمر وهو يسمع كلمات الأستاذ داود.

"وهل... هل يمكنك فكّها يا أستاذ؟"

تنهد الأستاذ داود وقال:

"الأمر ليس سهلاً. هذه الشيفرات معقدة وتعتمد غالبًا على مفاتيح خاصة أو سياقات معينة. قد يستغرق الأمر وقتًا طويلاً وجهدًا كبيرًا، وربما نحتاج إلى مقارنتها بنصوص أخرى مشابهة إن وجدت. ولكن يمكننا المحاولة. سأحتفظ بهذه النسخة وأدرسها بعناية. ولكن عليك أن تعدني بأن تكون حذرًا للغاية يا عمر. لا تثق بأحد بسهولة، وكن يقظًا لكل شاردة وواردة حولك. الشخص الذي ائتمنك على هذا المخطوط، مهما كانت مكانته، قد لا يكون صديقك الحقيقي. وقد يكون هناك آخرون يسعون للحصول على هذا السر أيضًا".

"أعدك يا أستاذ،" قال عمر بصدق، وقد شعر ببعض الارتياح لأن الأستاذ داود لم يرفض مساعدته.

"سأكون حذرًا. وسأعود إليك بعد يومين لأرى إن كنت قد توصلت إلى شيء".

"حسنًا. ولكن لا تأتِ إلى هنا مرة أخرى في الوقت الحالي،" قال الأستاذ داود بنبرة تحذيرية.

"قد يكون منزلي مراقبًا أيضًا. سنتفق على طريقة للتواصل لاحقًا. الآن اذهب، وحاول أن تتصرف بشكل طبيعي قدر الإمكان.

وأنهِ مهمة النسخ في موعدها المحدد. لا تُعطِ لمن يراقبك أي سبب للشك".

شكر عمر الأستاذ داود بحرارة على نصيحته ومساعدته، وغادر منزله وهو يشعر بمزيج متضارب من المشاعر. كان ممتنّاً لحكمة الأستاذ واستعداده للمساعدة، ولكنه أيضًا كان يشعر بقلق متزايد من حجم الخطر الذي يحيط به. كلمات الأستاذ داود أكدت مخاوفه، وجعلته يُدرك أنه يسير على حبل مشدود فوق هاوية سحيقة.

في طريق عودته إلى دكانه، وبدلاً من أن يسلك الأزقة الخلفية، قرر عمر أن يمر عبر المنطقة المحيطة بالمسجد الجامع الكبير.

كان بحاجة إلى أن يرى الحياة الطبيعية، أن يشعر بنبض المدينة الصاخب لعله ينسى قليلاً همومه المتزايدة. توجه نحو سوق الوراقين الشهير، الذي يقع في قلب هذه المنطقة النابضة بالحياة، وهو مكان يعشقه عمر ويجد فيه دائمًا بعض السلوى.

كان السوق في أوج نشاطه في ذلك الوقت من النهار. ساحة واسعة تحيط بها أروقة مقوّسة، تصطف تحتها عشرات الدكاكين والمكتبات التي تعرض أحدث ما نُسخ وما أُلِّف، جنبًا إلى جنب مع كنوز المخطوطات القديمة والنادرة. طلاب علم من كل حدب وصوب، بملابسهم المتنوعة التي تدل على أصولهم المختلفة، يتجولون بين الأكشاك، يبحثون عن ضالتهم من الكتب. علماء وشيوخ بجُبَبهم الفضفاضة وعمائمهم المهيبة يجلسون في حلقات صغيرة

يتناقشون في أمور الفقه واللغة والفلسفة، وأصواتهم تختلط بضجيج الباعة وصخب المارة. رائحة الورق والحبر والجلد كانت تمتزج برائحة التوابل القادمة من سوق العطارين المجاور، وبأصوات الخطوات والنقاشات والضحكات، مكوّنة سيمفونية قرطبية فريدة.

كان عمر يتجول ببطء، يتأمل هذا المشهد الذي طالما أحبّه، ويشعر بأن قلقه بدأ يتلاشى قليلاً وسط هذا الزخم المعرفي والحياتي. توقف أمام أحد الأكشاك التي تعرض دواوين شعر أندلسية حديثة، وأخذ يتصفح ديوانًا لابن درّاج القسطلي، شاعرًا ببعض الراحة وهو يقرأ أبياتًا تصف جمال الطبيعة الأندلسية.

وبينما هو كذلك، لفت انتباهه مرة أخرى ذلك الصوت النسائي الرقيق والواثق الذي سمعه قبل أيام. التفت بفضول، فرأى زينب، الفتاة التي قابلها في المرة السابقة، تقف أمام مكتبة كبيرة ومعروفة، تتحدث بحماس مع صاحب المكتبة، وهو شيخ وقور معروف بسعة اطلاعه. كانت تناقشه هذه المرة حول مخطوط يبدو أنه في علم الفلك أو التنجيم، وتشير بيدها إلى رسوم دقيقة لخرائط سماوية.

"ولكن يا عمّ الشيخ،" كانت زينب تقول بلهجة تجمع بين الاحترام والتحدي اللطيف، "أليس هذا الرسم لموقع النجوم يتوافق مع حسابات البتاني أكثر من حسابات الخوارزمي؟ انظر إلى زاوية

الميل هنا... أعتقد أن الناسخ اعتمد على جداول أحدث مما هو مدوّن في تاريخ النسخ المذكور في نهاية المخطوط".

ابتسم الشيخ صاحب المكتبة وقال: "ما شاء الله عليكِ يا بُنيّتي! دقة ملاحظتك تدهشني دائمًا. قليلون هم من ينتبهون لمثل هذه التفاصيل في أيامنا هذه، حتى من طلاب العلم المتخصصين. نعم، أنتِ على حق. يبدو أن الناسخ قام بتحديث الرسوم بناءً على معارف أحدث، وهذا يطرح سؤالاً حول أمانته العلمية، أو ربما عن تاريخ النسخ الحقيقي".

اقترب عمر منهما ببطء، وقد شعر بالإعجاب يغمره مرة أخرى أمام ذكاء زينب ومعرفتها الواسعة التي تبدو أنها تتجاوز مجرد حب القراءة إلى فهم عميق.

عندما لاحظته زينب، ابتسمت له ابتسامة مشرقة وودودة، وقالت:

"أهلاً بك يا سيد عمر! يبدو أننا نلتقي دائمًا بين الكتب".

شعر عمر بارتباك خفيف، لكنه رد الابتسامة وقال:

"أهلاً بكِ يا آنسة زينب. يبدو أن شغفك بالكتب يقودك دائمًا إلى اكتشافات مذهلة. لقد أدهشتني ملاحظتك حول خرائط النجوم".

"إنها مجرد هواية،" قالت زينب بتواضع، ولكن عينيها كانتا تلمعان ببريق الذكاء. "أحب أن أفهم ليس فقط ما تقوله الكتب، بل

كيف وصلت إلينا، ومن كتبها، ومتى. كل مخطوط هو رحلة في التاريخ".

"صدقتِ،" قال عمر. "كل مخطوط هو رحلة. وأحيانًا تكون الرحلة محفوفة بالأسرار... والمخاطر".

لاحظ عمر أنه تحدث أكثر مما ينبغي، وأن كلماته الأخيرة حملت نبرة شخصية لم يقصدها. نظرت إليه زينب بفضول، وكأنها التقطت شيئًا في نبرته.

قالت بهدوء: "الأسرار والمخاطر؟ هل كل رحلاتك في عالم النسخ هادئة يا سيد عمر؟"

شعر عمر بالخطر يقترب. يجب أن يغيّر الموضوع.

قال بسرعة: "أقصد أسرار الماضي التي تكشفها لنا المخطوطات، ومخاطر تفسيرها بشكل خاطئ. ولكن، أخبريني، ما الذي أتى بكِ إلى علم الفلك اليوم؟ هل هو اهتمام جديد؟"

تنهدت زينب وقالت: "والدي تاجر كبير يسافر كثيرًا، ويحب أن يسترشد بالنجوم في أسفاره. طلب مني أن أبحث له عن بعض الخرائط الفلكية الدقيقة. ولكن يبدو أن العثور على نسخة موثوقة ليس بالأمر السهل". ثم أضافت بابتسامة، "ربما أحتاج إلى ناسخ ماهر ودقيق ليعدّ لي نسخة خاصة".

كانت كلماتها تبدو عفوية، لكن عمر شعر بأنها قد تكون دعوة مبطّنة أو اختبارًا له. هل يمكن أن تكون قد سمعت شيئًا؟ هل يمكن أن يكون الأستاذ داود قد تحدّث معها؟ أم أنها مجرد مصادفة؟

قبل أن يتمكن عمر من الرد، لاحظ بحركة سريعة من طرف عينه شخصين يقفان على بعد خطوات قليلة، يتظاهران بالنظر إلى أحد الأكشاك، لكن نظراتهما كانت موجّهة نحوهما بوضوح. لم يكونا من طلاب العلم أو التجار المعتادين في السوق. كانا يرتديان ملابس داكنة وعادية، لكن ملامحهما كانت قاسية، ونظراتهما باردة ومتفحّصة.

شعر عمر بنفس القشعريرة التي شعر بها بالأمس، ولكن هذه المرة كان الخطر يبدو أقرب وأكثر تحديدًا.

همس لزينب بسرعة: "آنسة زينب، أعتقد أنه يجب علينا إنهاء حديثنا الآن. يبدو أن هناك من لا يرغب في رؤيتنا نتحدث معًا".

التفتت زينب بسرعة في الاتجاه الذي أشار إليه عمر، ولاحظت الرجلين. تغيرت ملامحها قليلاً، وبدا عليها القلق أيضًا. قالت بهدوء: "معك حق. شكرًا لك يا سيد عمر على ملاحظتك. أراك لاحقًا بإذن الله".

استدارت زينب وغادرت بسرعة، واختفت بين زحام السوق.

بقي عمر واقفًا للحظة، يشعر بالارتباك والخوف. هل كان الرجلان يراقبانها هي أم يراقبانه هو؟ أم كليهما؟ هل لقاؤهما هذا لفت انتباه جهة ما؟

قرر عمر أن يغادر السوق فورًا. سار بخطى سريعة، محاولاً أن يبدو طبيعيًا، لكنه كان يشعر بأن عينين تتبعانه في الزحام. لم يجرؤ على الالتفات خلفه. كل ما كان يفكر فيه هو الوصول إلى دكانه وإغلاق الباب خلفه. لقد أصبح الآن متأكدًا أن المخطوط الذي ينسخه ليس مجرد كتاب، بل هو قنبلة موقوتة، وهو الآن يسير حاملاً إياها في مدينة مليئة بالعيون المتربّصة والآذان المتنصّتة. لقد تغيرت حياته الهادئة إلى الأبد، ودخل عالمًا من الظلال والمؤامرات لم يكن مستعدًا له أبدًا.

الفصل الرابع

خيوط المؤامرة تتشابك

عاد عمر إلى دكانه وقلبه يخفق بقوة، ليس فقط من الخوف الذي شعر به في سوق الوراقين، بل أيضًا من الإثارة المتزايدة التي أحاطت بالمخطوط الغامض ورموزه السرية. أغلق الباب الخشبي خلفه بإحكام، وأشعل قنديله، وجلس أمام طاولة النسخ، لكنه لم يستطع التركيز على مهمته الأصلية. كلمات الأستاذ داود حول طبيعة الشيفرة وخطورتها المحتملة، ونظرات الرجلين المريبة في السوق، ولقاؤه المتوتر مع زينب الذكية، كل ذلك كان يدور في رأسه كدوامة.

كان الموعد النهائي لتسليم النسخة لإسحاق بن مروان يقترب بسرعة، ولم ينجز سوى نصف العمل تقريبًا. كان عليه أن يسرع، لكن كيف يمكنه التركيز على النسخ الدقيق بينما عقله مشغول بمحاولة فهم اللغز الذي تورط فيه؟ والأهم من ذلك، كيف يمكنه

حماية نفسه ومن حوله من الخطر المحدق الذي أصبح يشعر به بوضوح الآن؟

في اليوم التالي، وبينما كان عمر يحاول جاهدًا استئناف عمله، طُرق الباب طرقًا خفيفًا ومميزًا. تردد عمر في الفتح، متوجسًا من أن يكون أحد رجال إسحاق أو أولئك المراقبين من السوق. لكن الطرق تكرر بالنمط الهادئ نفسه. فتح الباب بحذر شديد، ليجد أمامه طفلاً صغيرًا، لا يتجاوز العاشرة من عمره، يرتدي ملابس بسيطة ولكنه نظيف، ويحمل في يده سلة صغيرة مغطاة بقطعة قماش.

"هل أنت السيد عمر الناسخ؟" سأل الطفل بصوت خفيض وعينين واسعتين.

"نعم، أنا هو. ماذا تريد يا صغيري؟" أجاب عمر بحذر.

"أرسلني الأستاذ داود إليك بهذه السلة،" قال الطفل وهو يناوله السلة، "وقال لي أن أخبرك بأن: 'العثور على المفتاح يتطلب صبرًا ونظرًا ثاقبًا في الزوايا المنسية.' هذا ما قاله بالضبط".

أخذ عمر السلة، وشعر بقلبه ينبض بالأمل. كانت هذه هي طريقة التواصل التي اتفق عليها مع الأستاذ داود. شكر الطفل وأعطاه قطعة نقدية صغيرة، ثم أغلق الباب بسرعة. وضع السلة على الطاولة ورفع الغطاء القماشي. لم تكن تحتوي إلا على بعض الفواكه المجففة والخبز الطازج، طعام بسيط، ولكنه كان موضع ترحيب

كبير بالنسبة لعمر الذي كاد أن ينسى تناول الطعام في اليومين الماضيين. لكن تحت الطعام، وجد ورقة صغيرة مطوية بعناية.

فتح عمر الورقة بلهفة. كانت مكتوبة بخط الأستاذ داود العبري الأنيق، ولكن باللغة العربية. لم تكن رسالة طويلة، بل مجرد بضعة أسطر:

يا بني عمر،

الرموز التي أريتني إياها ليست مجرد شيفرة بسيطة، بل هي جزء من نظام معقد يعتمد على "التناظر العددي" للحروف في أبجديات قديمة، ربما اليونانية أو السريانية، مع مفتاح متغير يعتمد على سياق النص الأصلي. لقد بدأت أرى بعض الأنماط، ولكن فكها بالكامل يتطلب مقارنتها بالنص الأصلي الذي توجد فيه.

هل يمكنك، بحذر شديد، أن تنسخ لي الصفحة الكاملة التي وجدت فيها الرموز، بما في ذلك النص المحيط بها؟ ربما يكون المفتاح مخبأً في الكلمات نفسها.

كن حذرًا للغاية. أشعر بأن هناك عيونًا تراقبنا. لا ترسل لي شيئًا مع الطفل مرة أخرى. سأجد طريقة أخرى للتواصل.

تذكّر: الصبر والنظر الثاقب في الزوايا المنسية.

المخلص،

داود

***

شعر عمر بمزيج من الإثارة والقلق وهو يقرأ الرسالة. الأستاذ داود بدأ يفك اللغز! لكنه يحتاج إلى الصفحة الأصلية، وهذا يعني مخاطرة أكبر. كيف يمكنه نسخ الصفحة وإرسالها دون أن يلاحظه أحد؟ والأهم، هل يمكنه الوثوق بالأستاذ داود إلى هذا الحد؟

ولكن لم يكن لديه خيار آخر. كان يشعر بأنه اقترب من كشف السر، ولم يعد يستطيع التراجع الآن. قرر أن يخاطر. انتظر حتى حلول الظلام، وأغلق دكانه بإحكام، ثم أشعل قنديله وبدأ ينسخ الصفحة المطلوبة بعناية فائقة، ليس فقط الرموز في الهامش، بل النص الفلسفي المحيط بها أيضًا، محاولاً أن يكون دقيقًا قدر الإمكان في نقل كل حرف وكل علامة.

وبينما كان ينسخ، بدأ يقرأ النص الفلسفي نفسه بتركيز أكبر هذه المرة، محاولاً البحث عن أي كلمة أو عبارة قد تكون المفتاح الذي أشار إليه الأستاذ داود. كان النص يتحدث عن "الواحد" و"العقل الأول" و"النفس الكلية"، وعن كيفية "تحرر الروح من سجن الجسد عبر المعرفة الباطنة". كانت هناك إشارات إلى "الأسماء الإلهية المخفية" وإلى "قوة الكلمة في تغيير الواقع".

بدت له الأفكار عميقة ومثيرة للاهتمام، ولكنها أيضًا بدت خطيرة في سياق قرطبة التي كانت تشهد صراعًا بين التوجهات الفكرية المختلفة، وبين الفلسفة والفقه الرسمي.

فجأة، توقف عند عبارة تكررت مرتين في الصفحة: "والظل ليس إلا انعكاسًا للحقيقة، لكنه يحمل مفتاح فهمها لمن يُبصر". الظل... المفتاح... هل يمكن أن تكون هذه هي الإشارة؟

نظر مرة أخرى إلى الرموز في الهامش. هل يمكن أن تكون هذه الرموز هي "الظل" الذي يحمل مفتاح فهم النص الأصلي، أو ربما مفتاح فهم شيء آخر تمامًا؟

أنهى عمر نسخ الصفحة، وطواها بعناية. الآن، كيف يوصلها إلى الأستاذ داود؟ تذكّر كلمات الأستاذ: "سأجد طريقة أخرى للتواصل". قرر أن ينتظر. أخفى النسخة الجديدة في مكان آمن في دكانه، وعاد إلى مهمته الأصلية، محاولاً تعويض الوقت الضائع.

في صباح اليوم التالي، وبينما كان عمر منهمكًا في عمله، سمع طرقًا خفيفًا على الباب. تردد للحظة، ثم فتحه بحذر. لم يكن هناك أحد، ولكن على عتبة الباب كانت هناك قطعة خبز صغيرة ملفوفة بقطعة قماش. التقطها عمر بسرعة وأغلق الباب. فتح اللفافة، ووجد داخل الخبز ورقة صغيرة أخرى من الأستاذ داود:

"يا بني، اذهب إلى حمام السوق القديم عند صلاة العصر. في غرفة تغيير الملابس، ابحث عن الخزانة رقم سبعة. اترك ما لديك هناك في الزاوية الخلفية اليمنى. سأحصل عليه لاحقًا. لا تتحدث مع أحد ولا تلتفت حولك كثيرًا. كن حذرًا..."..

شعر عمر بالتوتر يتصاعد. حمام السوق القديم مكان عام ومزدحم، ولكنه أيضًا مكان يمكن أن تختفي فيه بسهولة. كانت خطة ذكية ومحفوفة بالمخاطر في الوقت نفسه.

انتظر عمر حتى اقترب وقت العصر، ثم أخفى الورقة المنسوخة جيدًا تحت ملابسه، وتوجه نحو حمام السوق القديم.

كان الحمام بناءً كبيرًا وجميلاً، بقبابه المتعددة ومداخله المزخرفة. كان يعج بالناس من مختلف الطبقات، يأتون للاغتسال والاسترخاء والحديث. دخل عمر وحاول أن يبدو طبيعيًا قدر الإمكان. دفع الرسوم المطلوبة للحارس عند المدخل، وتوجه إلى غرفة تغيير الملابس الواسعة ذات الأسقف العالية.

كانت الغرفة مليئة بالرجال الذين يخلعون ملابسهم أو يرتدونها، والبخار يتصاعد من الغرف الساخنة المجاورة، والضجيج يملأ المكان.

بحث عمر بعينيه بسرعة عن الخزائن المرقمة. وجد الخزانة رقم سبعة في زاوية بعيدة وأقل ازدحامًا. تظاهر بأنه يخلع ملابسه، وتأكد من عدم وجود أحد يراقبه عن كثب، ثم أخرج الورقة بسرعة ووضعها في الزاوية الخلفية اليمنى للخزانة، تحت كومة من المناشف النظيفة.

شعر بارتياح كبير لأنه أنجز المهمة، ولكنه أيضًا شعر بقلق شديد. هل رآه أحد؟ هل كانت الخطة آمنة حقًا؟ لم يجرؤ على البقاء

في الحمام. ارتدى ملابسه بسرعة وغادر المكان، محاولاً مرة أخرى أن يبدو طبيعيًا، لكن قلبه كان يدق بعنف.

عاد إلى دكانه وأنهى نسخ المخطوط الأصلي في الوقت المحدد تمامًا. كانت النسخة متقنة ودقيقة، طبقًا للأصل قدر استطاعته.

الآن، كل ما عليه فعله هو انتظار عودة إسحاق بن مروان، وتسليمه النسخة والمخطوط الأصلي، والحصول على مكافأته، ومحاولة نسيان كل هذا الأمر.

لكن هل سيستطيع النسيان؟ لقد تذوق طعم السر والخطر، وشارك في عملية فك شيفرة قد تكون لها تداعيات خطيرة.

والأهم من ذلك، لقد التقى بالأستاذ داود الحكيم، وبزينب الذكية والجريئة. هل يمكن أن يعود إلى حياته السابقة كناسخ بسيط بعد كل هذا؟

في اليوم التالي، وبينما كان ينتظر وصول إسحاق بن مروان في أي لحظة، سمع طرقًا عنيفًا ومفاجئًا على باب دكانه.

لم يكن طرقًا خفيفًا كطرق الطفل، أو طرقًا عاديًا كطرق الزبائن. كان طرقًا قويًا وآمرًا، يوحي بالخطر.

تردد عمر، ثم فتح الباب بحذر، ليجد أمامه رجلين ضخمي الجثة، بملامح قاسية ونظرات باردة، يرتديان ملابس الحرس الخاص. لم يكونا نفس الرجلين اللذين رآهما في السوق، لكنهما كانا ينتميان إلى النوعية نفسها من الرجال.

"عمر الناسخ؟" سأل أحدهما بصوت أجش.

"نعم،" أجاب عمر بصوت متقطع.

"معنا أمر بالقبض عليك وتفتيش هذا المكان،" قال الرجل الآخر، وهو يدفع عمر إلى الداخل بقوة، بينما دخل الأول وبدأ يقلب محتويات الدكان الضيق بعنف، يبعثر الأوراق والمخطوطات، ويفتح الصناديق القليلة.

شعر عمر بالرعب يتملكه. من هؤلاء؟ هل هم رجال إسحاق بن مروان جاءوا لأخذ المخطوط بالقوة؟ أم هم من جهة أخرى اكتشفت أمره؟ ماذا يفعل؟

"ماذا تريدون؟" صرخ عمر محاولاً المقاومة، لكن الرجل الذي دفعه أمسكه بقوة وثبته على الحائط.

"أين هو المخطوط الذي تعمل عليه؟ المخطوط القديم ذو الرموز؟" سأل الرجل الذي يفتش، وهو يقترب من عمر بنظرة تهديد.

إذن هم يعرفون عن الرموز! لم يكونوا رجال إسحاق. كانوا من جهة أخرى تسعى للحصول على السر. ربما هم الجهة نفسها التي كانت تراقبه في السوق. ماذا يقول لهم؟

"لا أعرف عن أي مخطوط تتحدثون،" قال عمر محاولاً التظاهر بالجهل.

صفعه الرجل بقوة على وجهه.

"لا تكذب علينا، أيها الوغد! نعرف أنك نسخته".

"أين هو؟ تكلم وإلا."..

في تلك اللحظة، وقبل أن يُكمل الرجل تهديده، سمعوا صوتًا هادئًا ولكنه حازم يأتي من باب الدكان المفتوح:

"ما الذي يجري هنا؟ بأي حق تعتدون على هذا الشاب في دكانه؟"

التفت الجميع نحو الباب، ليروا إسحاق بن مروان يقف هناك، بكامل أناقته وهيبته، ولكن على وجهه هذه المرة نظرة غضب باردة كالثلج. كان يقف خلفه حارسان شخصيان له، يبدو أنهما أكثر قوة ومهارة من رجلي الحرس اللذين كانا في الداخل.

ارتبك الرجلان اللذان كانا يفتشان الدكان قليلاً عند رؤية إسحاق بن مروان. يبدو أنهما لم يتوقعا حضوره.

قال أحدهما بتلعثم:

"يا سيدي إسحاق... نحن ننفذ أوامر عُليا بالبحث عن مخطوط خطير".

"أوامر عليا؟" قال إسحاق بن مروان بسخرية وهو يتقدم إلى داخل الدكان.

"وهل تشمل هذه الأوامر العليا الاعتداء على مواطن بريء في مكان عمله؟ هذا الشاب يعمل لدي، والمخطوط الذي تبحثون عنه

هو ملكي الخاص، وقد عهدت إليه بنسخه. والآن، اخرجوا من هنا فورًا قبل أن أستدعي حرس المدينة وأتهمكم بالسرقة والاعتداء".

بدا التردد والخوف على وجهي الرجلين. نظر أحدهما إلى الآخر، ثم انحنيا قليلاً أمام إسحاق بن مروان، وغادرا الدكان بسرعة دون أن ينطقا بكلمة أخرى.

تنفس عمر الصعداء، وشعر بضعف مفاجئ في ساقيه كاد أن يسقط لولاه.

نظر إلى إسحاق بن مروان بامتنان ممزوج بالخوف. لقد أنقذه، ولكن لماذا؟ وماذا سيفعل الآن؟

نظر إليه إسحاق بن مروان بنظرته الباردة المعتادة، وقال:

"يبدو أن مهمتك لم تكن سرية كما أردت يا عمر. هل تحدثت مع أحد؟ هل أريت المخطوط لأحد؟"

"لا، لا يا سيدي، أقسم لك،" قال عمر بسرعة، وهو يحاول استجماع شجاعته.

"لقد التزمت بالسرية التامة كما أمرتني".

"إذن كيف عرفوا بأمر المخطوط والرموز؟" سأل إسحاق بن مروان، وهو يتفحص الفوضى التي خلفها الرجلان في الدكان.

"لا أعرف يا سيدي،" قال عمر بصدق. "ربما كانوا يراقبونني منذ البداية".

تنهد إسحاق بن مروان وقال:

"لا يهم الآن. هل النسخة جاهزة؟"

"نعم يا سيدي،" قال عمر، وهو يتناول النسخة المتقنة والمخطوط الأصلي من مكان آمن كان قد خبأهما فيه.

أخذ إسحاق بن مروان النسخة والمخطوط، وتفحصهما بسرعة وتأكد من جودة العمل. ثم أخرج صُرّة نقود كبيرة من تحت جبته وألقاها إلى عمر.

"هذه مكافأتك كما وعدتك. بل أكثر. لقد قمت بعمل جيد، وتعرضت للخطر بسببي".

ثم أضاف بنبرة تحذيرية أخيرة:

"والآن، انسَ أمر هذا المخطوط تمامًا. انسَ أنك رأيته أو نسخته. إذا سألك أحد عنه مرة أخرى، فأنكر كل شيء. حياتك تعتمد على ذلك. هل فهمت؟"

"نعم يا سيدي، فهمت،" قال عمر، وهو يلتقط صُرّة النقود الثقيلة.

غادر إسحاق بن مروان وحارساه الدكان، تاركين عمر وحده مرة أخرى وسط الفوضى، وفي يده ثروة صغيرة لم يكن يحلم بها، وفي عقله لغز أكبر وأخطر من أي وقت مضى.

لقد أنقذه إسحاق، ولكن تدخله السريع ومعرفته برجال الحرس أثارا شكوكًا جديدة في ذهن عمر.

هل كان إسحاق يتوقع هذا الهجوم؟ هل هو متورط في صراع أكبر مما يبدو؟

ومن هم أولئك الرجال الذين كانوا يبحثون عن المخطوط؟ وماذا سيفعل الأستاذ داود بالصفحة التي أرسلها له؟

شعر عمر بأن خيوط المؤامرة بدأت تتشابك من حوله بطريقة معقدة وخطيرة، وأنه أصبح الآن في قلب العاصفة.

الفصل الخامس

مطاردة في الظل

لم يكد عمر يلتقط أنفاسه بعد رحيل إسحاق بن مروان ورجاله، ولم يكد عقله يستوعب حجم الثروة الصغيرة التي أُلقيت إليه، حتى أدرك أنه لا يستطيع البقاء في دكانه لحظة واحدة أخرى. لقد أصبح مكشوفًا. أولئك الرجال الذين اقتحموا دكانه يعرفون الآن وجهه ومكانه، وحتى لو أنقذه تدخل إسحاق هذه المرة، فمن يضمن ألا يعودوا مرة أخرى، أو أن تُرسل جهة أخرى رجالًا غيرهم؟ والأهم من ذلك، لقد أصبح يحمل سرًا أكبر الآن: ليس فقط سر المخطوط والرموز، بل أيضًا سر تورط إسحاق بن مروان نفسه، الذي بدا تدخله مدروسًا ومريبًا.

جمع عمر صُرّة النقود بسرعة وأخفاها في حزامه تحت ملابسه. نظر حوله إلى الفوضى التي عمّت دكانه الصغير، مخطوطاته المبعثرة، أدواته المقلوبة. لم يكن لديه وقت للترتيب. كل ما كان يفكر فيه هو

الهرب. ولكن إلى أين؟ لم يكن لديه مكان آخر يذهب إليه. منزله الصغير في الحي الشعبي لم يعد آمنًا بالتأكيد. هل يذهب إلى الأستاذ داود؟ لكن الأستاذ حذّره من المجيء إليه مرة أخرى. هل يبحث عن زينب؟ لا يعرف حتى أين تسكن، وربما يعرّضها للخطر إذا بحث عنها.

في لحظة يأس، تذكّر كلمات الأستاذ داود الأخيرة في رسالته: "كن حذرًا للغاية. أشعر بأن هناك عيونًا تراقبنا". إذا كان الأستاذ داود مُراقبًا، فربما تكون زينب مُراقبة أيضًا، خاصة بعد لقائهما في سوق الوراقين. هل هو وحده الآن في مواجهة هذا الخطر المجهول؟

وبينما هو غارق في هذه الأفكار المظلمة، سمع صوتًا خافتًا يناديه من شق صغير في الباب الذي لم يُغلقه بإحكام:

"سيد عمر... سيد عمر... هل أنت بخير؟"

اقترب عمر من الباب بحذر شديد، ونظر من الشق. كانت زينب! تقف متوارية قليلاً خلف زاوية الزقاق، ويبدو عليها القلق الشديد.

"آنسة زينب! ماذا تفعلين هنا؟ المكان ليس آمنًا!" همس عمر.

"أعرف،" همست زينب بدورها. "لقد رأيت الرجال يغادرون. كنت أراقب من بعيد منذ أن رأيتهم يدخلون. هل آذوك؟"

"أنا بخير، ولكن... كيف عرفتِ مكاني؟ ولماذا تُخاطرين بالمجيء؟"

"لقد سألت عنك في سوق الوراقين بعد أن غادرتَ بالأمس. وصف لي أحدهم مكان دكانك. شعرت بالقلق عليك بعد ما حدث في السوق، وبعد أن رأيت أولئك الرجال يتبعونك. وعندما رأيتهم يدخلون دكانك اليوم، لم أستطع البقاء مكتوفة الأيدي. يجب أن تغادر من هنا فورًا يا سيد عمر. إنهم يعرفون مكانك الآن".

شعر عمر بموجة من الامتنان تغمره لشجاعة زينب واهتمامها. لقد خاطرت بنفسها من أجله. قال بسرعة:

"أعرف، ولكن لا أعرف إلى أين أذهب. كل الأماكن تبدو خطرة الآن".

"تعال معي،" قالت زينب بحزم. "أعرف مكانًا آمنًا يمكننا الاختباء فيه مؤقتًا، على الأقل حتى نفكر في خطوتنا التالية. ولكن يجب أن نغادر الآن، قبل أن يعودوا أو يُرسلوا غيرهم".

لم يتردد عمر هذه المرة. لقد أثبتت زينب شجاعتها وذكاءها، وبدا أنها الشخص الوحيد الذي يمكنه الوثوق به في هذه اللحظة. فتح الباب قليلاً، وتأكد من خلو الزقاق، ثم خرج بسرعة وانضم إلى زينب.

"اتبعني، وحاول أن تبدو طبيعيًا قدر الإمكان،" قالت زينب وهي تبدأ بالسير بسرعة في الاتجاه المعاكس لسوق الوراقين، متجهة نحو الأزقة الخلفية الأقل ارتيادًا.

سار عمر خلفها، محاولاً كبح خوفه والتظاهر بالهدوء. كانا يسيران بسرعة، يتنقلان بين الأزقة الضيقة والمتعرجة، يتجنبان الشوارع الرئيسة المزدحمة. كانت زينب تتحرك بخفة وثقة، وكأنها تعرف هذه المتاهة من الأزقة جيدًا. كان عمر يتبعها بصمت، يتأمل شجاعتها وقدرتها على التصرف في هذا الموقف الصعب.

وبينما كانا يمران عبر زقاق ضيق ومظلم بشكل خاص، سمعا فجأة صوت خطوات سريعة تقترب من خلفهما. التفت عمر بسرعة، فرأى رجلين يركضان نحوهما، كانا نفس الرجلين اللذين رآهما في سوق الوراقين!

"لقد وجدونا!" صرخ عمر.

"اركض!" صرخت زينب وهي تمسك بيد عمر وتسحبه معها.

انطلقا يركضان بأقصى سرعة في الزقاق الضيق، وصوت خطوات مطارديهما يدوي خلفهما.

تحولت نزهتهما الحذرة إلى مطاردة يائسة ومحمومة عبر شرايين قرطبة الخفية. كانت زينب تقود الطريق، تتخذ انعطافات حادة ومفاجئة، تدخل من باب وتخرج من آخر، تقفز فوق أكوام القمامة، وتتسلل عبر ممرات ضيقة بالكاد تتسع لشخص واحد. كان عمر يلهث خلفها، يحاول مجاراتها، وقلبه يكاد يقفز من صدره من الخوف والإرهاق.

كان مطاردوهما عنيدين وسريعين، ولا يبدو أنهما سيتخليان عن مطاردتهما بسهولة. كانا يصرخان بتهديدات وشتائم، وصوت خطواتهما الثقيلة يقترب أحيانًا ويبتعد أحيانًا أخرى حسب تعرّجات الأزقة.

دخلا إلى منطقة سوق شعبي صغير ومزدحم، يعج بالباعة المتجولين والمتسوقين. حاولا الاختلاط بالزحام، والتظاهر بأنهما مجرد متسوقين عاديين. لكن مطارديهما كانا أكثر دهاءً. رأى عمر أحدهما يتحدث مع حارس السوق، ويشير نحوهما. بدأ الحارس ينادي بصوت عالٍ، محاولاً إيقافهما.

"لا تتوقف!" قالت زينب وهي تسحب عمر مرة أخرى. انحرفا بسرعة نحو زقاق جانبي يؤدي إلى منطقة تبدو وكأنها حي للحرفيين، مليئة بالورش الصغيرة التي تفوح منها رائحة الخشب المحترق والمعادن المصهورة.

كان الزقاق مسدودًا في نهايته بجدار عالٍ. شعرا باليأس للحظة. هل حوصرا؟ لكن زينب لم تستسلم. لاحظت بابًا خشبيًا صغيرًا ومنخفضًا في أحد الجدران الجانبية، يبدو أنه يؤدي إلى قبو أو مخزن. دفعت الباب بقوة، فانفتح كاشفًا عن سلالم حجرية تنزل إلى الظلام.

"هيا!" قالت وهي تنزل بسرعة، وتبعها عمر.

أغلقا الباب خلفهما بصعوبة، ووجدا نفسيهما في ممر ضيق ومظلم، تفوح منه رائحة الرطوبة والعفن. سمعا صوت مطارديهما يصلان إلى نهاية الزقاق المسدود، ويصرخان بغضب لأنهما أضاعاهما. ثم سمعا صوت طرق عنيف على الباب الذي دخلا منه.

"يجب أن نجد مخرجًا آخر"، همست زينب وهي تتحسس طريقها في الظلام. كان الممر طويلاً ومنخفضًا، واضطرا للانحناء أثناء سيرهما. تعثّر عمر عدة مرات، لكن زينب كانت تمسك بيده بثبات، تقوده في هذا النفق المجهول.

بعد مسافة بدت طويلة، بدأ يظهر ضوء خافت في نهاية الممر. وصلا إلى باب آخر، أكثر متانة من الأول. دفعته زينب بحذر، فوجدا نفسيهما في فناء خلفي صغير ومهجور، يبدو أنه تابع لأحد المنازل الكبيرة القديمة. كان الفناء مليئًا بالأعشاب البرية وبعض الأثاث المكسور الملقى في زاوية.

"أين نحن؟" سأل عمر وهو يلهث، محاولاً التقاط أنفاسه.

"لا أعرف بالضبط"، قالت زينب وهي تنظر حولها. "ولكن يبدو أننا أضعناهم مؤقتًا. يجب أن نخرج من هنا قبل أن يجدوا طريقة أخرى للوصول إلينا".

تسلّقا جدارًا منخفضًا في نهاية الفناء، ليجدا نفسيهما في زقاق آخر، أكثر هدوءًا ونظافة من الأزقة التي مرا بها. بدا وكأنه حي سكني راقٍ.

"أعتقد أنني أعرف أين نحن الآن"، قالت زينب وهي تتنفس الصعداء. "نحن قريبون من المكان الذي أريد أن نذهب إليه. هيا، لم يتبقَّ الكثير".

واصلا السير بحذر، يتلفتان حولهما باستمرار، يتوقعان ظهور المطاردين في أي لحظة. وصلا أخيرًا إلى منزل كبير وجميل، له حديقة صغيرة وباب خشبي أنيق مزخرف بالنقوش الإسلامية. طرقت زينب الباب بطريقة مميزة.

بعد لحظات، فتح الباب خادم عجوز بملامح طيبة. ابتسم عندما رأى زينب وقال: "أهلاً بكِ يا آنسة زينب. سيدتي في انتظاركِ".

"شكرًا لك يا عم سالم"، قالت زينب وهي تدخل، وتسحب عمر معها. "هل المكان آمن؟"

"نعم يا آنستي. لا أحد هنا سوى سيدتي وبعض الخدم الموثوقين"، قال الخادم وهو يغلق الباب بإحكام.

قادت زينب عمر عبر بهو واسع ومفروش بالسجاد الفاخر، إلى غرفة استقبال أنيقة تطل على الحديقة. كانت هناك امرأة في منتصف العمر، تبدو عليها علامات الوقار والثقافة، تجلس على أريكة وتقرأ كتابًا. رفعت المرأة رأسها عندما دخلا، وابتسمت لزينب ابتسامة دافئة.

"أهلاً بك يا زينب يا ابنتي. لقد قلقت عليكِ كثيرًا"، قالت المرأة.

"أنا بخير يا خالتي فاطمة"، قالت زينب وهي تقبّل يد المرأة باحترام. "ولكننا كنا في خطر كبير. هذا هو السيد عمر، الناسخ الذي حدثتكِ عنه. لقد تعرض لهجوم في دكانه، وكنا مطاردين".

نظرت السيدة فاطمة إلى عمر بقلق واهتمام. "أهلاً بك يا بُني في بيتي. أنتما آمنان هنا الآن. اجلسا وارتاحا. سأطلب من الخدم إحضار بعض الماء والطعام لكما".

جلس عمر وزينب على الأريكة، وشعرا أخيرًا ببعض الأمان بعد المطاردة المروعة. كان عمر ممتنًا للغاية لزينب ولخالتها، ولكنه أيضًا كان مليئًا بالأسئلة. من هي هذه السيدة فاطمة؟ وكيف تعرفها زينب؟ ولماذا هذا المكان آمن؟

وبينما كانا ينتظران، بدأ عمر يدرك مدى اعتماده على زينب خلال الساعات القليلة الماضية. لقد كانت هي التي حذرته، وقادته، وأنقذته. لقد أظهرت شجاعة وذكاءً وتصميمًا مذهلاً. نظر إليها بإعجاب جديد، وشعر برابطة قوية تتشكل بينهما، رابطة وُلدت في خضم الخطر والمغامرة المشتركة. لقد أصبحا الآن شريكين في هذا السر الخطير، ومصيرهما أصبح متشابكًا بطريقة لم يتوقعها أيٌّ منهما.

الفصل السادس

دهاليز السلطة ومتاهات الاختباء

مرت الأيام ثقيلة وبطيئة على عمر وزينب في منزل السيدة فاطمة الآمن. كان المنزل واحة هدوء وراحة بعد العاصفة التي مرا بها، بحديقته الغنّاء وغرفه الأنيقة وخدمه المخلصين. كانت السيدة فاطمة، التي عرف عمر أنها خالة زينب من جهة الأم وأرملة قاضٍ معروف بورعه وعلمه، تعاملهما بلطف ورعاية بالغين، وتوفر لهما الطعام والملبس وكل ما يحتاجانه، وتحرص على ألّا يشعر أحد بوجودهما في المنزل.

لكن تحت هذا الهدوء الظاهري، كان القلق والخوف ينهشان قلب عمر. كان يشعر بأنه سجين في قفص ذهبي. صحيح أنه آمن من المطاردين في الوقت الحالي، لكنه معزول تمامًا عن العالم الخارجي. لا يعرف ماذا يجري في المدينة، ولا مصير الأستاذ داود، ولا ما إذا كان إسحاق بن مروان أو أعداؤه المجهولون لا يزالون يبحثون

عنه. صُرَّة النقود التي حصل عليها كانت عديمة الفائدة وهو حبيس هذه الجدران. والأهم من ذلك، كان يشعر بالعجز والضياع، لا يعرف ما هي خطوته التالية، وكيف يمكنه الخروج من هذا المأزق الذي وجد نفسه فيه.

كان يقضي معظم وقته في المكتبة الواسعة التي كانت تملكها السيدة فاطمة، والتي ورثتها عن زوجها القاضي. كانت مكتبة رائعة، تضم كتبًا في الفقه والتاريخ والأدب، وحتى بعض المخطوطات الفلسفية النادرة. حاول عمر أن يُغرق نفسه في القراءة، لعله يجد بعض السلوى أو الإلهام، أو ربما يفهم المزيد عن السياق الفكري والسياسي الذي أحاط بالمخطوط الغامض. قرأ عن تاريخ الخلافة الأموية في الأندلس، وعن صعود نجم الصقالبة في الجيش والإدارة، وعن التوترات الخفية بين مختلف فصائل السلطة في بلاط الخليفة الحكم الثاني، خاصة مع مرضه وقضية ولاية العهد لابنه الصغير هشام، التي كانت تثير قلق الكثيرين.

كانت زينب تشاركه أحيانًا هذه الجلسات في المكتبة. كانت هي الأخرى تبدو قلقة، ولكنها كانت أكثر تماسكًا وقدرة على التفكير المنطقي. كانت تناقش معه ما يقرآنه، وتُحلل الوضع بذكاء لافت. كانت لديها قدرة مدهشة على ربط الأحداث وفهم الدوافع الخفية للشخصيات السياسية. عرف عمر منها أن والدها تاجر كبير يسافر كثيرًا إلى المشرق والمغرب، وأنها اكتسبت منه ومن مجالسته للعلماء

والتجار معرفة واسعة بالعالم، تتجاوز ما هو متاح لمعظم فتيات عصرها. كما عرف أنها ورثت عن أمها، أخت السيدة فاطمة، شغفًا بالعلم وحبًا للكتب.

"المشكلة يا عمر"، قالت له زينب في إحدى جلساتهما، "أننا لا نملك معلومات كافية. نحن نختبئ هنا، بينما المؤامرة، أيًا كانت، تستمر في الخارج. لا نعرف من هم أعداؤنا الحقيقيون، ولا ما هي خططهم، ولا حتى ما هو السر الكامل الذي يحتويه ذلك المخطوط وتلك الرموز. هل توصل الأستاذ داود إلى شيء؟ هل هو بخير أصلاً؟"

"لا أعرف"، أجاب عمر بمرارة. "أشعر بالعجز التام. نحن هنا آمنون، ولكننا أيضًا معزولون وعاجزون. أتمنى لو أستطيع الخروج، محاولة جمع بعض المعلومات، أو حتى الاتصال بالأستاذ داود بطريقة ما".

"الخروج الآن مخاطرة كبيرة جدًا"، قالت زينب بحذر. "إنهم يبحثون عنك بالتأكيد. ولكن ربما... ربما هناك طريقة أخرى لجمع المعلومات دون أن نغادر هذا المنزل".

"كيف؟" سأل عمر بفضول.

"خالتي فاطمة"، قالت زينب. "زوجها الراحل كان قاضيًا مرموقًا، ولها علاقات واسعة في دوائر القضاء والعلم، وحتى بعض

الاتصالات الهادئة داخل أسوار مدينة الزهراء. ربما يمكنها أن تساعدنا في معرفة ما يجري، أو حتى في إيصال رسالة إلى الأستاذ داود بحذر".

كانت فكرة ذكية. تحدّثا مع السيدة فاطمة في المساء. استمعت إليهما بصبر واهتمام، وبدا عليها القلق وهي تسمع تفاصيل ما حدث مع عمر والمخطوط الغامض.

قالت: "الأمر أخطر مما كنت أظن. الصراعات على السلطة في قرطبة أصبحت شرسة ومظلمة في الآونة الأخيرة، خاصة مع مرض الخليفة. هناك همسات عن مؤامرات وتصفيات حسابات. يجب أن نكون حذرين للغاية".

وأضافت: "نعم، لدي بعض المعارف الذين أثق بهم. يمكنني أن أطلب منهم بحذر شديد أن يستعلموا عن أي أحداث غير عادية وقعت مؤخرًا، أو أي شائعات تدور حول ناسخ مفقود أو مخطوطات خطيرة. ويمكنني أيضًا محاولة إرسال رسالة إلى الأستاذ داود عبر شخص موثوق يتردد على حي اليهود. ولكن كل هذا يتطلب وقتًا وحذرًا شديدين".

شعر عمر وزينب ببعض الأمل يتجدد. بدأت السيدة فاطمة فعلاً في استخدام شبكة علاقاتها الهادئة. كانت تستقبل بعض الزوار القلائل في أوقات محددة، وتتحدث معهم بعبارات عامة ومبطنة، بينما كان عمر وزينب يختبئان في غرفة مجاورة، يحاولان التقاط أي

معلومة مفيدة. كما أرسلت خادمها المخلص سالم برسائل مشفّرة إلى بعض معارفها.

مرت أيام أخرى، وبدأت بعض المعلومات المتفرقة تصل إليهم. سمعوا عن زيادة نشاط الحرس في بعض أحياء المدينة، وعن اعتقال بعض الأشخاص بتهم غامضة تتعلق بـ"نشر أفكار هدامة". سمعوا أيضًا أن الحاجب جعفر المصحفي، الرجل القوي في الدولة والمنافس الرئيسي للصقالبة، يبدو أنه يعزز قبضته على الأمور، وأن هناك توترًا متزايدًا بينه وبين قادة الصقالبة في الجيش والبلاط. لكن لم يكن هناك أي ذكر مباشر لعمر أو للمخطوط الذي كان ينسخه.

أما عن الأستاذ داود، فقد جاء الرد بعد عدة أيام عبر نفس القناة السرية التي استخدمتها السيدة فاطمة. كانت رسالة قصيرة ومقلقة من الأستاذ داود، كتبها على قطعة جلد صغيرة:

"الرموز تكشف عن أسماء وتواريخ وخطة... خطة خطيرة جدًا تستهدف قلب الدولة. المفتاح كان في تناظر أسماء الكواكب بأعداد معيّنة. لم أستطع فك كل شيء بعد، ولكن ما عرفته يكفي لإثارة رعبي. أشعر بأنني مُراقَب بشدة. لا أستطيع التواصل معكم الآن. احذروا من كل شيء ومن كل شخص. الثقة عملة نادرة هذه الأيام. سأحاول إيجاد طريقة لإيصال ما لديكم إلى الشخص المناسب عندما تسنح الفرصة.

ابقوا مختبئين وآمنين... د".

قرأ عمر وزينب الرسالة معًا، وشعرا بالقشعريرة تسري في جسديهما. إذن، الرموز لم تكن مجرد أفكار فلسفية، بل كانت تحتوي على تفاصيل مؤامرة حقيقية! مؤامرة تستهدف قلب الدولة! هذا يفسر شراسة البحث عنهما وعن المخطوط. ويفسر أيضًا تدخل إسحاق بن مروان المريب. هل كان إسحاق جزءًا من المؤامرة، أم كان يحاول كشفها بطريقته الخاصة؟ ومن هم "الأشخاص المناسبون" الذين يريد الأستاذ داود إيصال المعلومات إليهم؟ هل يقصد الحاجب المصحفي؟

زادت هذه المعلومات من قلقهما، لكنها أيضًا زادت من تصميمهما على كشف الحقيقة.

"يجب أن نعرف المزيد يا زينب"، قال عمر بحزم. "لا يمكننا البقاء هنا ننتظر المجهول، بينما الأستاذ داود في خطر والمؤامرة مستمرة. يجب أن نجد طريقة للحصول على معلومات أدق".

"معك حق"، قالت زينب بعد لحظة تفكير. "ولكن كيف؟ خالتي فعلت ما بوسعها، ولا يمكننا تعريضها لمزيد من الخطر. والخروج بأنفسنا لا يزال مستحيلاً".

"ماذا عن والدك؟" سأل عمر فجأة. "قلتِ إنه تاجر يسافر كثيرًا وله علاقات واسعة. هل هو في قرطبة الآن؟ هل يمكن أن يساعدنا؟"

ترددت زينب قليلاً قبل أن تجيب: "والدي... علاقته معقدة. إنه رجل أعمال ذكي وناجح، وله معارف في كل مكان، حتى في دوائر السلطة. ولكنه أيضًا حذر جدًا، ويتجنب التورط في السياسة قدر الإمكان. لا أعرف إن كان سيوافق على مساعدتنا في أمر خطير كهذا. كما أنه ليس في قرطبة الآن، إنه في رحلة تجارية إلى إشبيلية".

"ولكن هل يمكنكِ الاتصال به؟ إخباره بما يجري؟ ربما يكون لديه معلومات أو نصيحة؟"

"ربما".. قالت زينب بتردد. "يمكنني محاولة إرسال رسالة إليه مع أحد المسافرين الموثوقين الذين تتعامل معهم خالتي. ولكن يجب أن تكون الرسالة حذرة للغاية، لا تكشف كل شيء، فقط تلمّح إلى أنني في ورطة وأحتاج مساعدته أو مشورته العاجلة".

"افعلي ذلك"، قال عمر. "أي معلومة أو مساعدة قد تكون حاسمة الآن".

كتبت زينب رسالة موجزة ومبهمة إلى والدها، وأعطتها لخالتها لترسلها عبر قنواتها السرية. ثم عادا إلى الانتظار، ولكن هذه المرة كان لديهما هدف أوضح: محاولة فهم طبيعة المؤامرة التي كشف الأستاذ داود عن وجودها.

عادا إلى مكتبة السيدة فاطمة، ولكن هذه المرة كانا يبحثان عن كتب محددة: كتب التاريخ التي تتحدث عن المؤامرات والانقلابات السابقة في الأندلس أو في دول أخرى، كتب السياسة

التي تحلل دوافع الصراع على السلطة، وحتى كتب الفلك والتنجيم التي قد تفسر اهتمام زينب السابق بها أو علاقتها المحتملة بالرموز التي ذكرها الأستاذ داود (أسماء الكواكب).

كانت زينب هي المحرك الرئيسي في هذا البحث. كانت تقرأ بسرعة وتركيز، وتدوّن ملاحظات، وتربط بين معلومات متفرقة بطريقة مدهشة. أظهرت قدرة تحليلية وذكاءً استراتيجيًا أثار إعجاب عمر ودهشته. كانت تشرح له كيف أن الصراعات على السلطة غالبًا ما تستخدم الدين أو الفلسفة كغطاء، وكيف أن الطموحات الشخصية يمكن أن تدفع الناس لارتكاب أفعال مروّعة، وكيف أن معرفة المستقبل، سواء عبر التنجيم أو التخطيط المحكم، كانت دائمًا هاجسًا للحكام والمتآمرين على حد سواء.

"انظر هنا يا عمر"، قالت له وهي تشير إلى فقرة في كتاب تاريخ قديم. "هذه المؤامرة التي حدثت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر... استخدم المتآمرون رسائل مشفّرة تعتمد على حساب الجمل وقيمة الحروف للإشارة إلى توقيت التحرك وأسماء المتورطين. ربما تكون الشيفرة التي يفكها الأستاذ داود مشابهة لهذا".

وفي كتاب آخر عن الفرق الباطنية، وجدت إشارات إلى استخدام رموز الكواكب للإشارة إلى أيام الأسبوع أو حتى إلى شخصيات معيّنة بناءً على "طبائعها" الفلكية.

"الأمر معقد جدًا"، قال عمر وهو يشعر بأن رأسه يكاد ينفجر من كثرة المعلومات والتكهنات. "كلما عرفنا أكثر، زاد شعورنا بالخطر وبضآلة معرفتنا الحقيقية".

"لا تقل ذلك"، قالت زينب بحزم لطيف. "المعرفة هي سلاحنا الوحيد الآن. كل معلومة نجمعها، كل خيط نربطه، قد يقربنا من فهم ما يجري ومن إيجاد مخرج. يجب ألّا نستسلم لليأس. يجب أن نواصل البحث والتفكير... والتخطيط".

نظر عمر إلى زينب بإعجاب متزايد. لقد كانت هي القوة الدافعة في هذه الفترة الصعبة. ذكاؤها، شجاعتها، وتفاؤلها الحذر كانوا هم النور الذي يبدد ظلام خوفه وشكوكه. أدرك أنه لم يعد مجرد ناسخ بسيط تورط في مؤامرة، بل أصبح جزءًا من فريق صغير، هو وزينب والأستاذ داود وخالتها، يحاولون كشف حقيقة خطيرة وإنقاذ أنفسهم، وربما إنقاذ قرطبة نفسها. لقد أصبح للاختباء معنى وهدف الآن، لم يعد مجرد انتظار سلبي، بل أصبح فترة للإعداد وجمع القوة والمعرفة للمواجهة القادمة.

الفصل السابع

بين العلم والحب في زمن الخطر

في الأيام الطويلة التي قضوها مختبئين في منزل السيدة فاطمة، لم تكن الكتب هي الشيء الوحيد الذي يتقاسمه عمر وزينب. ففي ظل الخطر المحدق والغموض الذي يلف مصيرهما، نشأت بينهما رابطة فريدة، مزيج من الصداقة العميقة، والإعجاب المتبادل، وبدايات حب هشٍّ وحذر، ينمو كزهرة نادرة في تربة قاسية.

كانت المكتبة الواسعة هي ملاذهما المشترك، ليس فقط للبحث عن إجابات في بطون الكتب، بل أيضًا للحديث والتعارف بشكل أعمق. اكتشف عمر في زينب عقلاً نيِّراً وشخصية قوية تتجاوز المظهر الرقيق والأنوثة الهادئة. كانت تناقشه في الفلسفة والتاريخ بنفس الحماس الذي تناقشه فيه في الشعر والأدب. كانت لديها آراء جريئة ومستقلة، لا تخشى التعبير عنها حتى لو خالفت السائد. تحدثت له عن رحلات والدها، وعن القصص التي كان يرويها لها

عن بلاد المشرق والمغرب، وعن شغفها بمعرفة العالم الذي يتجاوز أسوار قرطبة.

"أحيانًا أشعر بأن هذه الكتب هي نافذتي الوحيدة على العالم يا عمر،" قالت له ذات مرة وهي تتصفح مخطوطًا جغرافيًا قديمًا. "أقرأ عن مدن بعيدة وحضارات مختلفة، وأحلم بأن أراها بعيني يومًا ما. لكنني أعرف أن هذا الحلم صعب المنال لفتاة مثلي في قرطبة. قدري هو أن أتزوج وأدير بيتًا، وأن أكتفي بقراءة أخبار العالم بدلًا من صنعه أو اكتشافه".

شعر عمر بتعاطف عميق معها. هو أيضًا كان لديه أحلام تتجاوز واقعه كناسخ بسيط. تحدث لها عن حلمه القديم بالالتحاق بالمدارس الكبرى، وعن رغبته في تأليف كتاب خاص به يومًا ما.

"كنت أظن أن مهنتي كناسخ هي أقرب ما يمكنني الوصول إليه من عالم المعرفة،" قال لها بصدق. "لكنني الآن أدرك أن المعرفة الحقيقية ليست فقط في قراءة الكتب، بل في فهم الحياة، وفي الشجاعة لمواجهة تحدياتها... وفي وجود شخص يشاركك هذه الرحلة".

كانت لحظات الصراحة هذه تقربهما أكثر. اكتشفا نقاط تشابه كثيرة بينهما، كلاهما يشعر بأنه غريب قليلاً عن محيطه، كلاهما يمتلك فضولاً فكريًا لا يرتوي، وكلاهما وجد في الآخر صدى لأفكاره ومشاعره.

لكن هذا التقارب لم يكن يخلو من التوتر والقلق. كانا يدركان جيدًا أن علاقتهما هذه وُلدت في ظروف استثنائية وخطيرة، وأن مستقبلهما معًا، إن كان له مستقبل، محفوف بالمجهول. كان عمر يشعر بالذنب أحيانًا لأنه جر زينب معه إلى هذا الخطر، وكان يخشى عليها من العواقب. وكانت زينب، رغم شجاعتها الظاهرة، تشعر بالقلق على مصير عائلتها، خاصة بعد أن وصلت إليهم أخبار غير مؤكدة عبر قنوات السيدة فاطمة عن زيادة التدقيق في سجلات التجار الذين يسافرون كثيرًا، وكأن السلطات تبحث عن أي صلة محتملة بشبكات خارجية قد تكون متورطة في المؤامرة.

"هل تظن أنهم قد يؤذون والدي بسببي؟" سألت زينب عمر بقلق في إحدى الليالي، بعد أن وصلتهم هذه الأخبار المقلقة.

"لن نسمح بذلك،" قال عمر بحزم، وشعر برغبة قوية في حمايتها. "يجب أن نجد طريقة للخروج من هنا، ليس فقط لإنقاذ أنفسنا، بل لحماية كل من ساعدنا أيضًا. يجب أن نصل إلى الأستاذ داود، ونعرف منه تفاصيل المؤامرة، ونوصلها إلى الشخص المناسب قبل فوات الأوان".

في تلك الأثناء، كانت السيدة فاطمة تحاول جاهدة، وبأقصى درجات الحذر، تنفيذ خطة لإخراجهما من قرطبة. لم تكن خطة سهلة على الإطلاق. فالمدينة كانت تخضع لرقابة مشددة، والحرس

منتشرون في كل مكان، خاصة عند بوابات المدينة. أي محاولة للخروج بشكل رسمي كانت ستكشفهما فورًا.

كانت الخطة التي توصلت إليها السيدة فاطمة بالتشاور مع بعض معارفها الموثوقين تعتمد على سلسلة من الخطوات المعقدة والمحفوفة بالمخاطر:

1. التنكّر: كان على عمر وزينب أن يتنكّرا بملابس بسيطة وعادية، ربما كزوجين من القرويين أو كخدم مسافرين مع قافلة صغيرة.

2. الخروج من المنزل: كان عليهما مغادرة منزل السيدة فاطمة في جنح الظلام، عبر ممرٍّ سرّيٍّ قديم يربط قبو المنزل بأحد الأزقة الخلفية المهجورة، وهو ممر لم يُستخدم منذ سنوات.

3. الوصول إلى نقطة التقاء: كان عليهما السير عبر أزقة محددة ومعروفة فقط لعدد قليل من الناس، للوصول إلى نقطة التقاء خارج أسوار المدينة القديمة ولكن داخل منطقة الأرباض، بالقرب من نهر الوادي الكبير. هذه المنطقة كانت أقل رقابة، ولكنها أيضًا أكثر فوضوية وخطورة ليلاً.

4. الانضمام إلى قافلة: في نقطة الالتقاء، كان من المفترض أن ينتظرهما شخص موثوق، دليل يعرف الطرقات جيدًا، ليقوم بدمجهما مع قافلة صغيرة من التجار أو المسافرين البسطاء المتجهين

جنوبًا نحو إشبيلية. كان الاعتماد هنا على أن الحرس عند البوابات الجنوبية أقلّ تيقظًا من البوابات الشمالية أو الشرقية.

5. الرحلة جنوبًا: كان عليهما البقاء مع القافلة والتظاهر بأنهما جزء منها حتى يصلا إلى مكان آمن بعيد عن قرطبة، ربما قرية صغيرة أو بلدة نائية، حيث يمكنهما الاختباء مجددًا أو محاولة الاتصال بوالد زينب، الذي كان في إشبيلية.

كانت كل خطوة في هذه الخطة تحمل مخاطرها. التنكّر قد لا يكون مقنعًا، الممر السري قد يكون مسدودًا أو مراقبًا، نقطة الالتقاء قد تكون فخًا، الدليل قد يكون خائنًا، القافلة قد تتعرض للتفتيش الدقيق، والرحلة نفسها عبر الطرقات غير الآمنة كانت محفوفة بالمخاطر.

ناقشت السيدة فاطمة الخطة مع عمر وزينب بالتفصيل. شعرا بالخوف من حجم المخاطرة، ولكنهما أيضًا شعرا بأنها فرصتهما الوحيدة للخروج من هذا السجن الذهبي ولمحاولة تغيير مصيرهما بأيديهما.

"هل أنتِ مستعدة لهذه المغامرة يا زينب؟" سأل عمر بقلق، وهو ينظر إلى وجهها الذي بدا شاحبًا قليلاً تحت ضوء القنديل.

نظرت إليه زينب بثبات، وقالت: "أنا مستعدة يا عمر. الخوف الحقيقي هو البقاء هنا عاجزين بينما الخطر يقترب. أفضل أن أواجه

المجهول معك على أن أنتظر مصيرًا قد يكون أسوأ. كما أنني أريد أن أصل إلى والدي، وأطمئن عليه، وأطلب مساعدته".

"وأنا أيضًا مستعد،" قال عمر. "من أجلك، ومن أجل الأستاذ داود، ومن أجل كشف الحقيقة. لن أظل مختبئًا بعد الآن".

بدأت الاستعدادات للرحلة في سرية تامة.

أعدّت السيدة فاطمة لهما ملابس التنكّر، وبعض الزاد القليل، وصُرّة نقود صغيرة للطوارئ. أعطتهما تعليمات دقيقة حول الطريق الذي يجب أن يسلكاه، وكلمة سر ليتعرفا بها على الدليل المنتظر عند نقطة الالتقاء.

في الليلة المحددة للرحيل، كانت الأجواء مشحونة بالتوتر والترقّب. ودّعت السيدة فاطمة زينب وعمر بحرارة وقلق، وقالت لهما: "كونا حذرين يا أبنائي. وثِقا ببعضكما البعض. أدعو الله أن يحفظكما في طريقكما".

نزلا إلى القبو المظلم والرطب، وفتح الخادم سالم الباب السري بصعوبة بعد أن أزال بعض الأحجار المتراكمة أمامه. وجدا نفسيهما في ممر ضيق تفوح منه رائحة التراب. سارَا في الظلام الدامس، يتعثران ويتلمسان طريقهما، وقلوبهما تخفق بقوة.

بعد مسافة بدت طويلة، وصلا إلى نهاية الممر، وخرجا إلى زقاق خلفي مهجور ومظلم. كان القمر محجوبًا بالغيوم، والمدينة تبدو نائمة، ولكن هذا الهدوء كان مشوبًا بالخطر. بدأَا يسيران بسرعة وحذر،

يتبعان التعليمات الدقيقة للسيدة فاطمة، يتنقلان بين الأزقة كالأشباح.

كانا يقتربان من أسوار المدينة القديمة، متجهين نحو منطقة الأرباض والنهر، عندما سمعا فجأة صوت خطوات تقترب منهما في الظلام. توقّفا وتواريا خلف كومة من البراميل الفارغة. مرّ بهما رجلان يرتديان ملابس داكنة، ويتحدثان بصوت خفيض. لم يتمكّنا من رؤية ملامحهما بوضوح، لكنهما سمعا أحدهما يقول للآخر: "... أوامر الحاجب واضحة. يجب العثور على الناسخ والفتاة قبل أن يغادرا المدينة. لقد شدّد الرقابة على جميع البوابات".

شعر عمر وزينب بالدم يتجمّد في عروقهما. الحاجب! هل كان يقصد الحاجب المصحفي؟ هل هو من يبحث عنهما الآن؟ ولماذا؟ هل اكتشف علاقتهما بالمخطوط والمؤامرة؟ أم أن هناك شيئًا آخر لا يعرفانه؟

انتظرا حتى ابتعد الرجلان، ثم واصلا طريقهما بحذر أكبر، وقلوبهما مثقلة بالخوف والشكوك الجديدة. لقد أصبحت الأمور أكثر تعقيدًا وخطورة ممّا كانا يتخيّلان. لم يعد الأمر مجرد مؤامرة يقودها الصقالبة، بل يبدو أن الحاجب المصحفي نفسه، الرجل الذي كانا يعتقدان أنه قد يكون المنقذ، أصبح الآن جزءًا من التهديد الذي يواجههما.

وصلا أخيرًا إلى نقطة الالتقاء المحددة، وهي بستان صغير مهجور بالقرب من ضفة النهر. كان المكان مظلمًا وموحشًا. انتظرا في الظل، يتلفتان حولهما بقلق. هل سيأتي الدليل؟ أم أن كل هذه الخطة كانت فخًا؟ مرّت دقائق بدت كأنها ساعات. ثم سمعا صوت صفير خافت ومميّز، يشبه صوت طائر ليلي. كانت تلك هي كلمة السر!

ظهرا من الظل، ورأيا رجلاً ملثمًا يقترب منهما بحذر. "هل أنتما أصدقاء السيدة فاطمة؟" همس الرجل بصوت أجش.

"نعم،" أجاب عمر. "وقد أتينا لنبحث عن 'نجمة الجنوب'".

"أنا نجمة الجنوب،" قال الرجل وهو يُخفض لثامه قليلاً ليكشف عن وجه نحيف وعينين حادّتين. "اتبعاني بسرعة وهدوء. القافلة ستتحرك قريبًا".

قادهما الرجل عبر ممرات ضيّقة بين الحقول والبساتين، حتى وصلا إلى مكان تتجمع فيه بضع عربات تجرّها البغال، وعدد قليل من المسافرين يستعدون للرحيل. كان الجو لا يزال مظلمًا، والجميع يتحركون بصمت وحذر.

"اندمجا معهم، ولا تتحدثا كثيرًا،" قال الدليل لعمر وزينب. "أنا سأتولى أمر الحراس عند البوابة. حظًا موفقًا".

انضم عمر وزينب إلى المجموعة الصغيرة من المسافرين، وحاولا أن يبدوا كجزء منهم. بعد قليل، تحركت القافلة ببطء، متجهة نحو

البوابة الجنوبية للمدينة. كان عمر وزينب يسيران جنبًا إلى جنب، وقلوبهما تخفق بقوة. هل سينجحان في الخروج؟ أم أن هذه هي نهاية رحلتهما؟

نظر كلٌّ منهما إلى الآخر في الظلام، فوجدا في عيني شريكه مزيجًا من الخوف والأمل والتصميم. لقد قطعا شوطًا طويلاً معًا، وكانا مستعدّين لمواجهة ما هو قادم، مهما كان.

الفصل الثامن

كشف الأقنعة في ليل الأندلس

كانت القافلة الصغيرة تتحرك ببطء وحذر في الظلام الذي يسبق الفجر، تقترب من البوابة الجنوبية لقرطبة، بوابة إشبيلية. كان عمر وزينب يسيران بصمت وسط المسافرين الآخرين، يرتديان ملابس قروية بسيطة، ويحاولان إخفاء توترهما قدر الإمكان. كانت قلوبهما تخفق بعنف مع كل خطوة تقربهما من الحراس الواقفين عند البوابة، والذين بدت مشاعلهم كنقاط نار متراقصة في الظلام، تراقب كل حركة.

تقدم الدليل الملثم، "نجمة الجنوب"، وتحدث مع قائد الحرس بلهجة واثقة ومألوفة، وقدم له بعض الأوراق التي بدت كتصاريح مرور. ألقى قائد الحرس نظرة سريعة وغير مبالية على الأوراق، ثم على وجوه المسافرين المتعبة في القافلة. لم يبدُ عليه أنه يبحث عن أشخاص محددين، بل كان يقوم بإجراء روتيني.

"قافلة تجار زيتون متجهون إلى إستجة؟" سأل قائد الحرس بصوت خشن.

"نعم يا سيدي،" أجاب الدليل. "بضاعة بسيطة ومسافرون متعبون".

أشار قائد الحرس بيده إشارة لامبالية تسمح لهم بالمرور. "اذهبوا بسلام، ولا تثيروا المشاكل في طريقكم".

تنفس عمر وزينب الصعداء بصمت، وشعرا بموجة من الارتياح تغمرهما وهما يعبران البوابة ويتركان أسوار قرطبة خلفهما. لقد نجحا في الخطوة الأولى والأكثر خطورة. أصبحا الآن خارج المدينة، في العراء، ولكن أيضًا بعيدين عن أعين الرقابة المباشرة... أو هكذا ظنّا.

بدأت القافلة تسير بخطى أسرع قليلاً على الطريق الترابي المتجه جنوبًا، بمحاذاة نهر الوادي الكبير الذي كان يعكس ضوء القمر الخافت. كان الصمت يلف المكان، لا يقطعه سوى صوت خطوات البغال وحفيف أوراق الشجر على جانبي الطريق. بدأ عمر يشعر ببعض الأمل يتسلل إلى قلبه. ربما يستطيعان فعلاً الوصول إلى بر الأمان، والبدء في فهم ما يجري.

لكن هذا الأمل لم يدم طويلاً. بعد حوالي ساعة من السير، وبينما كانت القافلة تمر عبر منطقة غابات كثيفة، سمعوا فجأة صوت صهيل خيول قادمة من خلفهم بسرعة كبيرة. ظهر فرسان

ملثمون من بين الأشجار، يحملون سيوفًا مسلولة ومشاعل متوهجة، وحاصروا القافلة الصغيرة من كل جانب.

"توقفوا جميعًا! لا يتحرك أحد!" صرخ قائد الفرسان بصوت آمر.

دب الذعر في قلوب المسافرين البسطاء. توقفت البغال، وبدأ بعض النساء والأطفال في البكاء. حاول الدليل "نجمة الجنوب" أن يتحدث مع الفرسان، لكن أحدهم أسكته بضربة قوية أفقدته وعيه.

"نحن نبحث عن شخصين محددين،" قال قائد الفرسان وهو يمر ببطء بين المسافرين المذعورين، ويرفع مشعله ليتفحص وجوههم واحدًا تلو الآخر. "شاب ناسخ وفتاة هاربة معه. من يسلّمهما لنا، نتركه يذهب بسلام. ومن يخفيهما، فسيلقى مصيرًا أسوأ من مصيرهما".

شعر عمر وزينب بالرعب يتملّكهما. لقد كُشف أمرهما! كيف عرفوا أنهما في هذه القافلة؟ هل كان الدليل خائنًا؟ أم أن هناك جواسيس في كل مكان؟

حاولا الاختباء بين المسافرين الآخرين، وتجنب نظرات قائد الفرسان. لكن الأخير كان ذكيًا وخبيرًا. لاحظ الارتباك الشديد على وجهيهما، والملابس القروية التي لا تتناسب تمامًا مع ملامحهما التي توحي بأصول مدينية.

"أنتم!" صرخ قائد الفرسان وهو يشير إليهما بسيفه. "اخرجوا إلى هنا!"

لم يكن هناك مفر. أمسك الفرسان بعمر وزينب بعنف، وجروهما إلى مقدمة القافلة. حاول عمر المقاومة، لكنه تلقى ضربة قوية على رأسه جعلته يترنّح.

"أخيرًا وجدناكما أيها الجرذان،" قال قائد الفرسان بابتسامة قاسية وهو يقترب منهما. "لقد سبّبتم لنا الكثير من المتاعب. ولكن الآن انتهت اللعبة".

"من أنتم؟ وماذا تريدون منا؟" سألت زينب بشجاعة، رغم الخوف الذي كان يرتسم على وجهها.

"نحن ننفذ أوامر أسيادنا،" قال القائد. "وهم يريدون الشيء الوحيد الذي يهم: السر الذي تعرفونه، أو المخطوط الذي كنتم تحملونه. أين هو الآن؟"

"لا نعرف عن أي سر أو مخطوط تتحدث،" قال عمر بصوت متقطع، وهو يحاول استعادة توازنه.

ضحك القائد بسخرية. "لا تحاولا إنكار الأمر. نعرف كل شيء. نعرف عن المخطوط القديم، وعن الرموز، وعن زيارتك للعالم اليهودي داود. ونعرف أيضًا أنكما تحملان الآن سرًا أكبر، سرًا يمكن أن يدمر رجالاً عظماء".

كيف يعرفون كل هذا؟ تساءل عمر في ذعر. هل تم القبض على الأستاذ داود؟ هل اعترف تحت التعذيب؟

"تكلّما الآن، وسيكون الأمر أسهل عليكما،" قال القائد وهو يقرّب مشعله من وجه عمر. "أين المخطوط؟ وماذا كشفت لكم رموزه؟"

في تلك اللحظة الحرجة، وبينما كان عمر وزينب يواجهان الموت أو التعذيب، حدث شيء غير متوقّع. انطلقت صرخة قوية من بين الأشجار على جانب الطريق، واندفع مجموعة من الرجال المسلحين بالسيوف والخناجر نحو الفرسان الملثّمين. لم يكونوا جنودًا نظاميين، بل كانوا رجالاً أشداء بملابس بسيطة، يبدو أنهم من سكان الجبال أو الأرياف المحيطة، ولكنهم كانوا يقاتلون بشراسة وشجاعة مدهشة.

"إنهم رجال أبو عامر!" صرخ أحد الفرسان المهاجمين بدهشة وخوف.

"دافعوا عن أنفسكم! اقتلوهم جميعًا!" صرخ قائد الفرسان وهو يستل سيفه ويواجه المهاجمين الجدد.

اندلع قتال عنيف وفوضوي في ظلام الليل. اختلط صليل السيوف بصرخات الجرحى وصهيل الخيول المذعورة. استغل عمر وزينب هذه الفوضى.

أمسكت زينب بيد عمر وقالت: "هذه فرصتنا! هيا نهرب!"

انطلقا يركضان مرة أخرى، ولكن هذه المرة لم يكونا يعرفان إلى أين يتجهان.

دخلا إلى عمق الغابة الكثيفة، يتعثران في الجذور والأحجار، وتخدش أغصان الأشجار وجوههما وأيديهما.

كان صوت القتال يبتعد خلفهما تدريجيًّا، ولكنهما لم يتوقفا عن الركض حتى خارت قواهما تمامًا وسقطا على الأرض يلهثان.

بقيا مستلقيين على الأرض الرطبة لأوراق الشجر، يحاولان التقاط أنفاسهما، ويستمعان إلى أصوات الليل.

لم يعد هناك صوت للقتال. فقط حفيف أوراق الشجر، وصرير الحشرات، وعواء بعيد لذئب أو ابن آوى.

"من... من كانوا أولئك الرجال؟" سأل عمر بصوت متقطع.

"رجال أبي عامر؟ من هو أبو عامر؟"

"لا أعرف،" قالت زينب وهي تجلس بصعوبة. "ولكن يبدو أنهم أنقذونا... أو على الأقل أتاحوا لنا فرصة الهرب.

ولكن إلى أين نذهب الآن؟ نحن تائهون في هذه الغابة المظلمة، ولا نعرف الطريق".

"يجب أن نجد مأوى حتى الصباح،" قال عمر وهو ينظر حوله. "لا يمكننا البقاء هنا في العراء".

وقفا وبدآ يسيران بحذر في الظلام، يبحثان عن أيّ كهف أو كوخ مهجور يمكنهما الاحتماء به.

بعد فترة من البحث، وجدا كوخًا خشبيًّا صغيرًا ومتهالكًا، يبدو أنه كان يستخدمه حطّاب أو راعٍ في الماضي.

كان الباب مخلوعًا، والسقف به بعض الثقوب، ولكنه كان أفضل من لا شيء.

دخلا إلى الكوخ، ووجدا بعض القش الجاف في إحدى الزوايا.

جلسا متلاصقين على القش، يشعران بالبرد والتعب والخوف، ولكن أيضًا ببعض الارتياح لأنهما لا يزالان على قيد الحياة ومعًا.

"عمر،" قالت زينب بصوت خفيض بعد فترة صمت. "أعتقد أنني بدأت أفهم بعض الأشياء.

أولئك الفرسان... لم يكونوا مجرد لصوص أو قطاع طرق. كانوا منظمين، ويعرفون بالضبط ما يبحثون عنه.

قالوا إنهم ينفذون أوامر أسيادهم. وقالوا إن السر الذي نعرفه يمكن أن يُدمّر رجالاً عظماء.

هذا يؤكد ما قاله الأستاذ داود عن المؤامرة التي تستهدف قلب الدولة".

"نعم،" قال عمر. "ولكن من هم أسيادهم؟ هل هم الصقالبة الذين تحدّث عنهم الأستاذ داود؟ أم جهة أخرى؟

وماذا عن الحاجب المصحفي؟ لماذا كان رجاله يبحثون عنا أيضًا؟ هل الجميع متورطون في هذه المؤامرة؟"

"ربما ليس الجميع،" قالت زينب وهي تفكر بصوت عالٍ. "ربما هناك صراع بين فصيلين أو أكثر داخل السلطة نفسها.

الصقالبة يريدون الاستيلاء على الحكم، والمصحفي يريد الحفاظ على نفوذه أو ربما حماية ولي العهد الصغير.

وكلا الطرفين يعتقد أن المخطوط أو السر الذي نحمله يمكن أن يساعده أو يضرّه. لذلك كلاهما يبحث عنا".

"هذا منطقي،" قال عمر. "نحن الآن عالقون في الوسط، بين قوتين متصارعتين، وكلتاهما تعتبرنا تهديدًا أو أداة.

ولكن ماذا عن إسحاق بن مروان؟ في أي جانب يقف هو؟ لقد أعطاني المخطوط، ثم أنقذني من رجال الحاجب،

لكنه أيضًا حذرني بشدة من كشف السر. هل هو يلعب لعبة مزدوجة؟"

"ربما،" قالت زينب. "التجار الكبار غالبًا ما يكون لديهم ولاءات متغيرة، ويبحثون عن مصالحهم الخاصة.

ربما كان يحاول استخدام المخطوط كورقة مساومة مع أحد الطرفين، أو ربما كان لديه دوافع أخرى لا نعرفها".

"وماذا عن الأستاذ داود؟" سأل عمر بقلق. "أخشى أن يكون قد وقع في أيديهم. لقد قال إنه مراقب".

"الأستاذ داود رجل حكيم وحذِر،" قالت زينب محاولة طمأنته. "آمل أن يكون قد اتخذ احتياطاته".

لقد قال إنه سيحاول إيصال المعلومات للشخص المناسب.

"ربما نجح في ذلك".

"ولكن من هو الشخص المناسب؟" تساءل عمر. "إذا كان المصحفي متورطًا أو يبحث عنا، فلمن يمكننا الوثوق؟"

صمتا مرة أخرى، يفكران في هذا المأزق المعقّد الذي لا يبدو له مخرج.

ثم قالت زينب فجأة: "رجال أبي عامر... الذين أنقذونا. من يمكن أن يكونوا؟ هل سمعت بهذا الاسم من قبل؟"

فكّر عمر قليلاً، ثم قال: "أبو عامر... الاسم يبدو مألوفًا قليلاً. أعتقد أنني سمعت بعض الهمسات في المدينة عن رجل يُدعى محمد بن أبي عامر، شاب طموح بدأ يظهر اسمه في دوائر البلاط مؤخرًا.

قيل إنه ذكي جدًّا وماكر، واستطاع أن يكسب ثقة بعض الشخصيات المهمة، بما في ذلك زوجة الخليفة نفسها، السيدة صُبْح البشكنجية.

وقيل أيضًا إنه بدأ يُشكّل مجموعة من الأنصار المخلصين له، خاصة من البربر وسكّان الأرياف".

"محمد بن أبي عامر".. ردّدت زينب الاسم وهي تفكر. "إذا كان هو نفسه، فلماذا يساعدنا رجاله؟ هل يعرف شيئًا عن المؤامرة؟ هل هو طرف ثالث في هذا الصراع؟"

"لا أعرف،" قال عمر. "ولكن إذا كان الأمر كذلك، فقد يكون هو الشخص المناسب الذي يمكننا اللجوء إليه.

إذا كان طموحًا ويريد الوصول إلى السلطة، فقد يكون مهتمًّا بكشف مؤامرة تهدّد استقرار الدولة، خاصة إذا كان ذلك سيُضعف خصومه مثل الصقالبة أو حتى المصحفي".

"ولكن كيف نصل إليه؟ وكيف نثق به؟" سألت زينب بحذر.

"لا أعرف،" اعترف عمر. "ولكن يبدو أنه خيارنا الوحيد الآن. يجب أن نحاول معرفة المزيد عنه، وعن مكان وجوده.

ربما عندما يطلع النهار، يمكننا محاولة العودة إلى الطريق الرئيسي بحذر، والسؤال عنه لدى القرويين أو المسافرين".

اتفقا على هذه الخطة المبدئية.

شعرا ببعض التصميم يتجدّد لديهما، رغم الخوف والتعب.

لقد كشفت ليلة المطاردة هذه عن أقنعة كثيرة، وأظهرت لهما مدى تعقيد اللعبة السياسية التي تورّطا فيها.

لم يعد الأمر مجرد سر في مخطوط، بل أصبح صراعًا مفتوحًا على السلطة، وهما الآن بيدقان صغيران في هذه اللعبة الكبيرة والخطيرة.

ولكن ربما، فقط ربما، إذا لعبا أوراقهما بحذر وذكاء، يمكنهما أن يُغيّرا مسار اللعبة، وينجوا بحياتهما، ويكشفا الحقيقة.

الفصل التاسع

القرار الصعب

في غياهب الغابة، مع بزوغ خيوط الفجر الأولى وتسلّل الضوء الخافت عبر ثقوب سقف الكوخ المتهالك، استيقظ عمر وزينب على أصوات الطيور التي بدأت تُغرّد مُعلنة بداية يوم جديد.

كانا قد ناما نومًا متقطعًا وقلقًا، تتخلّله الكوابيس وذكريات المطاردة المرعبة في الليلة السابقة.

شعرا بالتيبّس والبرد، وبآلام جسديهما من الركض والسقوط والنوم على القشّ الخشن.

نظرا إلى بعضهما البعض في ضوء الفجر الباهت. كانت آثار التعب والخوف واضحة على وجهيهما، ولكن كانت هناك أيضًا نظرة تصميم وعزيمة في عينيهما.

لقد نَجَوْا من ليلة أخرى، وكان عليهما الآن اتخاذ قرارات صعبة ستُحدّد مصيرهما.

"يجب أن نغادر هذا المكان قبل أن يعثر علينا أحد"، قال عمر وهو يقف ويمدّ أطرافه المتيبّسة. "لا نعرف إن كان رجال الحاجب أو أولئك الفرسان الملثمون لا يزالون يبحثون في هذه الغابة".

"معك حق"، قالت زينب وهي تحاول ترتيب ملابسها وشَعرها المبعثر. "ولكن إلى أين نذهب؟ هل نحاول العودة إلى الطريق الرئيسي والبحث عن معلومات عن محمد بن أبي عامر؟ أم نحاول إيجاد طريق آخر أكثر أمنًا؟"

"العودة إلى الطريق الرئيسي مخاطرة كبيرة"، قال عمر بعد تفكير. "قد يكون مُراقَبًا. ولكن البقاء في الغابة أيضًا خطر. نحن لا نعرف المنطقة، وقد نتوه أو نقع في أيدي قُطّاع طرق أو وحوش".

وبينما كانا يتناقشان في خياراتهما المحدودة، سمعا صوت حفيف أوراق الشجر يقترب من الكوخ.

تجمّد الاثنان في مكانهما، وأمسك عمر بقطعة خشب متينة كانت ملقاة على الأرض، مستعدًّا للدفاع عن نفسيهما.

ظهر عند مدخل الكوخ رجل عجوز يرتدي ملابس رثّة، يحمل فأسًا على كتفه، ويبدو أنه حطّاب أو قروي من سكان المنطقة.

نظر الرجل العجوز إليهما بدهشة وارتياب.

"من أنتما؟ وماذا تفعلان في كوخي؟" سأل بصوت أجشّ.

شعر عمر وزينب بالارتباك.

"نحن... نحن مسافران تائهان"، قال عمر محاولاً أن يبدو هادئًا. "لقد ضللنا طريقنا في الليلة الماضية، واحتمينا هنا من المطر والبرد".

فحص الرجل العجوز ملابسهما وهيئتهما بنظرة فاحصة.

"مسافران تائهان؟ ملابسكما تبدو نظيفة جدًّا بالنسبة لتائهين قضوا ليلة في الغابة. ومن أي مدينة أنتما؟ لهجتكما ليست من لهجات أهل هذه المنطقة".

أدرك عمر وزينب أنهما في موقف حرج. الكذب لن يُجدي نفعًا مع هذا الرجل الخبير بشؤون الغابة وسكانها.

قررت زينب أن تُجرّب الصراحة الحذرة.

"نحن من قرطبة يا عم"، قالت بصوت هادئ ومحترم. "ونحن نهرب من خطر كبير يُهدد حياتنا. لقد تعرّضنا لهجوم الليلة الماضية في هذه الغابة، ونجونا بأعجوبة. نحن لا نريد إثارة المشاكل، كل ما نريده هو الوصول إلى مكان آمن".

نظر الرجل العجوز إلى زينب طويلاً، ثم إلى عمر. بدا وكأنه يَزِن كلامهما في عقله.

ثم تنهد وقال:

"قرطبة... مدينة المشاكل والسياسة. دائمًا ما تصل شرورها حتى إلى غاباتنا الهادئة.

لقد سمعت أصوات القتال الليلة الماضية، ورأيت بعض الفرسان الملثمين يمرّون من هنا صباحًا وهم يبحثون عن شيء ما. هل هم من يطاردونكما؟"

"نعم"، قال عمر. "هم وآخرون أيضًا".

"إذن أنتما في ورطة كبيرة حقًّا"، قال الرجل العجوز وهو يهزّ رأسه. "هذه الغابة ليست آمنة لكما. ولكن الخروج منها أيضًا ليس سهلاً. الطرقات مُراقَبة".

"هل... هل تعرف طريقًا آمنًا للخروج من هنا؟" سألت زينب بأمل.

"أو هل تعرف أحدًا يمكنه مساعدتنا؟ سمعنا عن رجل يُدعى محمد بن أبي عامر، قيل إن رجاله كانوا هنا الليلة الماضية".

اتّسعت عينا الرجل العجوز قليلاً عند ذكر اسم ابن أبي عامر.

"محمد بن أبي عامر؟ نعم، أعرفه. إنه شاب طموح وقوي، وله نفوذ متزايد في هذه المناطق".

رجاله يجوبون هذه الجبال والغابات، ويفرضون النظام أحيانًا، ويجمعون الضرائب أحيانًا أخرى. ولكن لا أعرف إن كان سيساعدكما. إنه رجل غامض، ولا تعرف أبدًا ما هي دوافعه الحقيقية".

"ولكن هل تعرف أين يمكننا أن نجده؟ أو كيف نصل إليه؟" أصرَّ عمر.

تردّد الرجل العجوز للحظة، ثم قال: "يُقال إن لديه معسكرًا أو مقرًا رئيسيًا في قلعة قديمة مهجورة على قمة أحد الجبال القريبة من هنا، جبل العقاب. ولكن الوصول إلى هناك صعب وخطير، والطريق وعر ومليء بالمنحدرات. ولا أضمن لكما كيف سيستقبلكما إذا وصلتما إلى هناك".

تبادل عمر وزينب النظرات. كان الأمر يبدو كمقامرة كبيرة: الذهاب إلى معقل رجل قوي وغامض، لا يعرفان إن كان صديقًا أم عدوًّا. ولكنه أيضًا بدا وكأنه خيارهما الوحيد.

"هل يمكنك أن تصف لنا الطريق إلى جبل العقاب؟" سألت زينب الرجل العجوز.

"سأفعل ما هو أفضل من ذلك"، قال الرجل العجوز بعد لحظة تفكير. "سأقودكما بنفسي إلى بداية الطريق الصاعد إلى الجبل. أنا أعرف هذه الغابة كراحة يدي. ولكن بعد ذلك، ستكونان بمفردكما. ولا تُخبرا أحدًا أنني ساعدتكما، فأنا لا أريد أي مشاكل مع رجال ابن أبي عامر أو مع مُطارديكما".

شعر عمر وزينب بامتنان كبير لهذا الرجل الطيب. شكراه بحرارة، وعرضا عليه بعض النقود القليلة التي كانت معهما، لكنه رفضها قائلاً: "احتفظا بنقودكما، قد تحتاجانها أكثر مني. مساعدتي لكما هي لوجه الله، ولدفع شرور المدينة عن غابتنا".

سار الثلاثة معًا عبر الغابة الكثيفة، والرجل العجوز يقود الطريق بخبرة وثقة، يتجنب المسارات المعروفة، ويشير لهما إلى بعض العلامات الطبيعية التي تساعد على تحديد الاتجاه. كان يتحدث قليلاً، ولكن كلماته كانت مليئة بالحكمة والتجارب.

حذّرهما من مخاطر الجبل، ومن تقلّبات مزاج ابن أبي عامر، ونصحهما بأن يكونا صادقين معه إذا قابلاه، فالرجل يكره الكذب والخداع.

بعد حوالي ساعتين من السير الشاق، وصلا إلى سفح جبل صخري شاهق، تبدو قمته بعيدة ومحاطة بالضباب.

"هذا هو جبل العقاب"، قال الرجل العجوز وهو يشير إلى ممرّ ضيّق ووعر يبدأ بالصعود بين الصخور.

"اتبعا هذا الممر، وسيقودكما إلى القلعة المهجورة في القمّة. ولكن كونا حذرين، فالصعود شاق، وقد يكون هناك حُرّاس لابن أبي عامر يراقبون الطريق. أتمنى لكما التوفيق. والآن يجب أن أعود إلى عملي".

ودّع عمر وزينب الرجل العجوز مرة أخرى، وشكراه من أعماق قلبيهما. ثم نظرا إلى الجبل الشاهق أمامهما، وإلى الطريق الصعب الذي ينتظرهما. شعرا بالرهبة والتعب، ولكن أيضًا بالتصميم. لقد اتخذا قرارهما الصعب بالذهاب لملاقاة المجهول، بدلاً من البقاء هاربين وخائفين.

"هل أنتِ مستعدة لهذه المغامرة الجديدة يا زينب؟" سأل عمر وهو يبتسم لها ابتسامة متعبة ولكنها مشجّعة.

ردّت زينب الابتسامة وقالت: "طالما نحن معًا يا عمر، فأنا مستعدة لأي شيء. هيا بنا نصعد هذا الجبل، ونرى ما يخبئه لنا القدر في قلعة العقاب".

بدآ رحلة الصعود الشاقة. كان الممرّ ضيّقًا ومنحدرًا، والصخور حادة وزلقة في بعض الأماكن. كان عليهما أن يتسلّقا أحيانًا، وأن يزحفا أحيانًا أخرى.

كانت الشمس قد ارتفعت في السماء، وأصبحت الحرارة شديدة، مما زاد من صعوبة الصعود.

كانا يتوقّفان بين الحين والآخر لالتقاط أنفاسهما وشرب بعض الماء القليل الذي كان معهما.

كلما ارتفعا أكثر، أصبح المنظر من حولهما أكثر اتساعًا وجمالاً، ولكنه أيضًا أكثر إثارة للرهبة.

كانا يريان وديانًا سحيقة تحتهما، وغابات تمتد لأميال، وقرطبة تبدو كنقطة بعيدة في الأفق. شعرا بصغرهما وضآلتهما أمام عظمة الطبيعة، وأمام حجم المخاطر التي تحيط بهما.

بعد عدّة ساعات من الصعود المُضني، بدأت تظهر أمامهما أسوار قلعة قديمة ومتهدمة، تتشبّث بقمة الجبل كعشّ نسرٍ عملاق.

كانت القلعة تبدو مهجورة وموحشة، ولكن كانت هناك علامات تدل على وجود حياة فيها: دخان خفيف يتصاعد من أحد المداخن، وراية داكنة ترفرف فوق أحد الأبراج.

اقتربا من بوابة القلعة بحذر. كانت البوابة خشبية ضخمة ومغلقة، ولكن كان هناك باب صغير مفتوح بجانبها.

وقبل أن يقرّرا ماذا يفعلان، خرج منهما حارسان قويّان يرتديان ملابس جلدية ويحملان رماحًا.

نظرا إليهما بنظرة حادة وغير ودودة.

"من أنتما؟ وماذا تُريدان هنا؟" سأل أحدهما بصوت خشن.

شعر عمر بالتوتر، ولكنه حاول أن يبدو هادئًا وواثقًا.

"نحن مسافران من قرطبة"، قال. "وقد أتينا إلى هنا لنطلب مقابلة السيد محمد بن أبي عامر لأمر هام وعاجل".

تبادل الحارسان النظرات، ثم نظر أحدهما إلى عمر وزينب مرة أخرى، وقال: "السيد مشغول الآن، ولا يستقبل أي غرباء دون موعد مسبق أو توصية. عودا من حيث أتيتما".

"لا يمكننا العودة"، قالت زينب بصوت ثابت وقويّ فاجأ عمر نفسه. "حياتنا في خطر، ونعتقد أن السيد ابن أبي عامر هو الوحيد الذي يمكنه مساعدتنا. أرجوكم، أوصلوا له رسالة منّا. قولوا له إن ناسخ المخطوطات الغامضة والفتاة التي كانت معه يطلبان

مساعدته، وإن لديهما معلومات قد تهمّه كثيرًا عن مؤامرة تُحاك في قرطبة".

بدا أن كلمات زينب الجريئة والمباشرة أثارت اهتمام الحارسين. ترددا للحظة، ثم قال أحدهما للآخر: "اذهب وأخبر القائد بما قالته الفتاة. أنا سأبقى هنا وأراقبهما".

ذهب الحارس الآخر إلى داخل القلعة، بينما بقي الأول يراقبهما بصمت، ورمحه في يده.

انتظر عمر وزينب بقلق، لا يعرفان ماذا سيحدث.

هل سيرفض ابن أبي عامر مقابلتهما؟ هل سيأمر بالقبض عليهما؟ أم أنه سيرى فيهما فرصة لتحقيق أهدافه؟

مرّت دقائق بدت طويلة، ثم عاد الحارس الأول ومعه رجل آخر، يبدو أنه قائد أو مسؤول في القلعة.

كان رجلاً في منتصف العمر، قويَّ البنية، وله نظرة ذكية وحادة. تفحّص عمر وزينب من قمة رأسيهما إلى أخمص قدميهما، ثم قال:

"السيد سيقابلكما. اتبعاني".

شعرا بمزيج من الارتياح والخوف وهما يتبعان القائد إلى داخل القلعة.

كانت القلعة من الداخل أكبر وأكثر نشاطًا مما تبدو من الخارج. كان هناك جنود يتدرّبون في الساحة الرئيسية، وعمال يُصلحون بعض الأسوار المُتهدّمة، وخدم يتحركون هنا وهناك.

بدا المكان كخلية نحل، مركزًا لقوة عسكرية وسياسية صاعدة.

قادهما القائد عبر ممرات وأبهاء حجرية باردة، حتى وصلا إلى قاعة كبيرة، مفروشة بسجاد بسيط، ولكنها تزدان ببعض الأسلحة القديمة المعلّقة على الجدران.

وفي صدر القاعة، كان يجلس على كرسي خشبي كبير شاب في مقتبل العمر، يرتدي ملابس أنيقة ولكنها عملية، وينظر إليهما بنظرة ثاقبة وفاحصة.

كان وسيمًا، وله عينان ذكيتان تشعّان بالطموح والدهاء.

عرف عمر وزينب فورًا أنهما في حضرة محمد بن أبي عامر.

"إذن، أنتما هما الناسخ والفتاة اللذان أثارا كل هذه الضجة في قرطبة؟" قال ابن أبي عامر بصوت هادئ، ولكنه يحمل نبرة سلطة واضحة.

"لقد سمعت عنكما الكثير في الأيام القليلة الماضية. يُقال إنكما تحملان سرًّا خطيرًا، وإن الجميع يبحث عنكما، من رجال الحاجب إلى جواسيس الصقالبة.

والآن تأتيان إليّ طالبين المساعدة. السؤال هو: لماذا يجب أن أساعدكما؟ وماذا يمكن أن تُقدّما لي في المقابل؟"

كانت لحظة الحقيقة.

كان عليهما الآن أن يُقنعا هذا الشاب الطموح والخطير بأن مساعدتهما ستكون في مصلحته.

كان قرارهما الصعب بالصعود إلى جبل العقاب قد أوصلهما إلى هنا، والآن عليهما أن يتخذا قرارًا أصعب: كيف سيلعبان هذه اللعبة السياسية المعقّدة،

وما هي الأسرار التي سيكشفان عنها، وما هي الأسرار التي سيحتفظان بها لأنفسهما؟

الفصل العاشر

ليلة الحسم في قلعة العقاب

ساد الصمت قاعة الاستقبال في قلعة العقاب لحظاتٍ بدت طويلة، لم يُسمع فيها سوى صوت الريح وهي تصفّر خارج الأسوار العالية.

كان عمر وزينب يقفان أمام محمد بن أبي عامر، يشعران بثقل نظراته الفاحصة وكأنها تخترق أعماقهما.

كان هذا الشاب، الذي لم يتجاوز الثلاثين من عمره على الأرجح، يمتلك هالةً من السلطة والثقة بالنفس تتجاوز سنّه بكثير.

كان واضحًا أنه ليس مجرد قائد عسكري أو زعيم محلي، بل هو لاعب سياسي ماهر يعرف كيف يقرأ الناس ويستغلّ الفرص.

كسر عمر الصمت أخيرًا، محاولاً أن يتحدث بصوت ثابت رغم التوتر الذي يعتريه:

"سيدي ابن أبي عامر، نشكر لك استقبالنا في هذه الظروف الصعبة. لقد أتينا إليك لأننا نؤمن بأنك قد تكون الشخص الوحيد في الأندلس الآن الذي يمتلك الشجاعة والحكمة لمواجهة الخطر الذي يهدد قرطبة... وربما الأندلس كلها".

رفع ابن أبي عامر حاجبه قليلاً، وبدا على وجهه مزيج من الاهتمام والسخرية الخفيفة.

"خطر يهدد قرطبة؟ تتحدثون بكلمات كبيرة أيها الناسخ. وما هو هذا الخطر العظيم الذي لم يسمع به أحدٌ سواي وسواكما؟

هل هو مجرد شائعات أو أوهام وُلدت من خوفكما؟"

"ليس وهمًا يا سيدي،" تدخلت زينب بقوة وثبات، ونظرت مباشرة في عيني ابن أبي عامر.

"إنها مؤامرة حقيقية، مؤامرة دنيئة وخبيثة، تستهدف قلب الدولة، وتهدد حياة الخليفة وولي عهده، وربما تسعى لتغيير وجه الأندلس إلى الأبد.

ونحن نمتلك الدليل... أو على الأقل جزءًا منه".

"الدليل؟" كرر ابن أبي عامر الكلمة ببطء، وزاد اهتمامه بشكل واضح.

"وما هو هذا الدليل؟ هل هو المخطوط القديم الذي يُقال إنك كنت تنسخه يا عمر؟ وماذا يحتوي هذا المخطوط بالضبط؟"

تبادل عمر وزينب النظرات بسرعة. كان هذا هو السؤال الحاسم.

ما مدى الأسرار التي يجب أن يكشفا عنها؟

هل يُخبرانه بكل شيء، بما في ذلك الرموز التي فكّها الأستاذ داود والتي تشير إلى أسماء وتواريخ وخطة؟

أم يحتفظان ببعض الأوراق لأنفسهما كورقة ضغط أو ضمانة؟

قرر عمر أن يكون صادقًا ولكن حذرًا.

"نعم يا سيدي، الدليل موجود في مخطوط قديم ونادر، يحتوي على نصوص فلسفية عميقة، ولكنه أيضًا يتضمّن رموزًا مشفّرة.

وقد تمكّنا، بمساعدة عالم حكيم، من فكّ بعض هذه الرموز.

وهي تشير بالفعل إلى مؤامرة خطيرة، تتورّط فيها شخصيات نافذة في الدولة، وتهدف إلى إحداث تغيير جذري في السلطة".

"شخصيات نافذة؟" سأل ابن أبي عامر، وعيناه تلمعان بالفضول.

"من هم هؤلاء؟ هل تعرفون أسماءهم؟"

"نعرف بعض الأسماء، أو على الأقل بعض الإشارات التي تدلّ عليهم،" قالت زينب بحذر.

"ولكننا لا نستطيع الكشف عن كل شيء الآن، ليس قبل أن نتأكد من أننا في أيدٍ أمينة، وأن مساعدتنا لن تُستغل لأغراض أخرى قد تكون بنفس خطورة المؤامرة نفسها".

ابتسم ابن أبي عامر ابتسامة خفيفة، وبدا معجبًا بجرأة زينب وحذرها.

"أنتِ فتاة ذكية وحذرة يا آنسة؟"

"زينب،" قالت زينب.

"يا آنسة زينب. وزميلك الناسخ أيضًا يبدو أنه تعلّم بعض الحذر في رحلة هروبه،" قال ابن أبي عامر.

"أنا أقدّر الحذر، فهو فضيلة نادرة في زمننا هذا.

ولكنكم تطلبون مني مساعدتكم وحمايتكم، وتتوقعون مني أن أثق بكلامكم دون أن تقدّموا لي دليلاً ملموسًا أو فائدة واضحة.

السياسة، يا أعزائي، ليست عملاً خيريًا. إنها لعبة مصالح وتبادل منافع".

"نحن نفهم ذلك يا سيدي،" قال عمر.

"ونحن على استعداد لتقديم ما لدينا من معلومات، ولكن بشرط. نريد ضمان سلامة وحماية من ساعدونا، ونريد أن نتأكد من أن هذه المعلومات ستُستخدم لكشف المؤامرة الحقيقية ومعاقبة المتورطين فيها، وليس لتصفية حسابات سياسية أو لإثارة فتنة أكبر".

"شروط معقولة،" قال ابن أبي عامر وهو يميل إلى الأمام قليلاً، ويبدو أنه أصبح أكثر جدية. "ولكن كيف لي أن أضمن أن

معلوماتكم صحيحة وليست مجرد تلفيق؟ وكيف لي أن أضمن أنكم لن تذهبوا بهذه المعلومات إلى أعدائي إذا لم يعجبكم عرضي؟"

"لأننا نرى فيك الأمل الوحيد يا سيدي،" قالت زينب بصدق. "لقد رأينا رجال الحاجب المصحفي يبحثون عنا، ورأينا فرسانًا ملثمين، ربما من الصقالبة، يحاولون قتلنا. يبدو أن القوى الكبرى في قرطبة كلها متورطة أو مستفيدة من هذه الفوضى. أما أنت، فقد سمعنا أنك رجل طموح، ولكنك أيضًا رجل دولة، يهمك استقرار الأندلس وقوتها. ونعتقد أن كشف هذه المؤامرة سيكون في مصلحتك ومصلحة الأندلس على المدى الطويل".

"كلام جميل ومجاملة،" قال ابن أبي عامر بابتسامة ساخرة. "ولكن الأفعال أبلغ من الأقوال. ماذا لديكم بالضبط؟ أريد تفاصيل. من هم المتآمرون؟ ما هي خطتهم؟ متى سيتحركون؟"

شعر عمر وزينب أنهما وصلا إلى نقطة اللاعودة. كان عليهما أن يقدما شيئًا ملموسًا لكسب ثقة هذا الرجل القوي. قرر عمر أن يكشف عن جزء مهم من السر، ولكنه ليس كله.

"يا سيدي،" قال عمر. "الرموز التي تم فكها تشير بوضوح إلى تورط مجموعة من كبار قادة الصقالبة في الجيش والحرس الخاص بالخليفة. ويبدو أن خطتهم تهدف إلى استغلال مرض الخليفة الحالي، ومنع انتقال ولاية العهد لابنه الصغير هشام، وتنصيب واحدٍ منهم كوصيٍّ على العرش أو حتى كخليفة جديد. وتشير الرموز

أيضًا إلى تواريخ محددة قريبة جدًا لتنفيذ هذه الخطة، ربما خلال الأيام أو الأسابيع القليلة القادمة".

كانت هذه المعلومات كافية لإثارة اهتمام ابن أبي عامر بشكل كبير. كان الصراع بينه وبين الصقالبة معروفًا في دوائر السلطة، وكان يدرك جيدًا خطرهم وطموحهم.

"الصقالبة... كنت أشك فيهم دائمًا،" قال وهو يضرب بقبضته على مسند كرسيه. "هؤلاء العبيد السابقون الذين رفعهم الخلفاء، يريدون الآن أن يحكموا الأندلس بأنفسهم! هذا جنون وخيانة! وماذا عن المصحفي؟ هل هو متورط معهم؟"

"لا نعتقد ذلك يا سيدي،" قالت زينب بسرعة. "الرموز لا تشير إليه. ولكن يبدو أنه يعرف شيئًا عن المؤامرة، أو على الأقل يشعر بالخطر، ولذلك كان رجاله يبحثون عنا أيضًا، ربما للحصول على المخطوط واستخدامه ضد الصقالبة، أو ربما لإسكاتنا حتى لا نكشف شيئًا قد يضر بموقفه".

"المصحفي... ثعلب عجوز وماكر،" تمتم ابن أبي عامر وهو يفكر بعمق. "إنه يلعب لعبته الخاصة كالعادة. يريد أن يبقى في السلطة بأي ثمن. ولكن مؤامرة الصقالبة هذه أخطر بكثير. إذا نجحوا، فستعم الفوضى والحرب الأهلية في الأندلس".

وقف ابن أبي عامر وبدأ يسير جيئة وذهابًا في القاعة، وعلامات التفكير العميق والقلق بادية على وجهه. كان يدرك حجم الفرصة والخطر الذي يمثله هذا الموقف.

إذا استطاع إحباط مؤامرة الصقالبة، فسيكسب شعبية كبيرة، وسيقضي على أخطر منافسيه، وسيعزز موقعه كمنقذٍ للدولة وحامٍ للشرعية.

ولكن إذا فشل، أو إذا كانت المعلومات التي قدمها عمر وزينب غير دقيقة أو ناقصة، فقد يجد نفسه في مواجهة مباشرة مع قوى لا يُستهان بها، وقد يخسر كل شيء.

توقف فجأة أمام عمر وزينب، ونظر إليهما بنظرة حاسمة.

"حسنًا، سأساعدكما،" قال. "سأوفر لكما الحماية هنا في قلعتي، وسأعمل على التحقق من صحة معلوماتكما. ولكن في المقابل، أريد منكما الولاء الكامل، وأن تخبراني بكل ما تعرفانه، بكل التفاصيل، دون أي إخفاء أو مراوغة. وأريد أيضًا ذلك المخطوط الأصلي. أين هو الآن؟"

شعر عمر وزينب بالارتياح لقراره، ولكنهما أيضًا شعرا بالقلق بشأن المخطوط.

"المخطوط ليس معنا يا سيدي،" قال عمر بصدق. "لقد تركناه في مكان آمن في قرطبة قبل أن نهرب. كنا نخشى أن يقع في الأيدي الخطأ".

"مكان آمن؟ أين؟" سأل ابن أبي عامر بحدة.

"مع الأستاذ داود، العالم اليهودي الذي ساعدنا في فك الرموز،" قالت زينب. "نعتقد أنه الشخص الوحيد الذي يمكن الوثوق به لحفظه".

عبس ابن أبي عامر قليلاً. "عالم يهودي؟ هذا يعقّد الأمور. ولكن ربما يكون ذلك أفضل. على الأقل هو ليس تابعًا للمصحفي أو للصقالبة. ولكن يجب أن نحصل على هذا المخطوط. إنه الدليل القاطع الذي نحتاجه".

"وكيف سنحصل عليه يا سيدي؟" سأل عمر. "الأستاذ داود قال إنه مراقب، ولا يستطيع التواصل معنا".

"لا تقلق بشأن ذلك،" قال ابن أبي عامر بابتسامة واثقة. "لدي طرقي الخاصة للوصول إلى أي شخص في قرطبة، حتى في حيّ اليهود المحصن. سأرسل أحد رجالي المخلصين والمهرة للتواصل مع الأستاذ داود بحذر، والحصول على المخطوط أو على الأقل على نسخة كاملة من الرموز وتفسيرها. وفي هذه الأثناء، ستبقيان أنتما هنا تحت حمايتي، ولكن أيضًا تحت مراقبتي. لا أريد أي مفاجآت".

ثم التفت إلى القائد الذي كان ينتظر عند الباب وقال: "يا قاسم، خذ ضيفينا إلى جناح آمن ومريح في القلعة. وفّر لهما كل ما يحتاجانه من طعام وشراب وملبس. وعيّن حراسة مشددة عليهما،

ولكن دون أن يشعرا بأنهما سجينان. أريدهما أن يشعرا بالأمان، ولكن أيضًا أن يعرفا أنهما تحت رعايتي... ورقابتي".

"أمرك سيدي،" قال القائد قاسم وهو ينحني باحترام.

قاد قاسم عمر وزينب إلى جناح صغير ولكنه نظيف ومريح في أحد أبراج القلعة. كان الجناح يتكوّن من غرفتين مفروشتين بسجاد بسيط وأثاث خشبي، وله نافذة صغيرة تطل على الوادي السحيق. كان هناك حارسان يقفان بصمت خارج الباب.

عندما أصبحا بمفردهما أخيرًا، نظر عمر وزينب إلى بعضهما البعض بمشاعر مختلطة. لقد نجحا في كسب ثقة ابن أبي عامر، وحصلا على حمايته، وربما وجدا حليفًا قويًا في مواجهة المؤامرة. ولكنهما أيضًا أصبحا الآن جزءًا من لعبته السياسية، وتحت رحمته ورقابته. وكانا لا يزالان قلقَين على مصير الأستاذ داود، وعلى ما إذا كان ابن أبي عامر سيستخدم المعلومات التي حصل عليها لمصلحة الأندلس حقًا، أم لمصلحته الشخصية فقط.

"هل فعلنا الصواب يا عمر؟" سألت زينب بصوت خفيض، وهي تجلس على حافة السرير وتبدو متعبة وقلقة.

"لا أعرف يا زينب،" قال عمر وهو يجلس بجانبها. "ولكن لم يكن لدينا خيار آخر. لقد لعبنا الورقة الوحيدة التي كانت في أيدينا. والآن علينا أن نأمل أن يكون ابن أبي عامر عند حسن ظننا، وأن

يتمكن رجاله من الوصول إلى الأستاذ داود والحصول على بقية السر قبل فوات الأوان".

"وماذا لو لم يكن عند حسن ظننا؟ ماذا لو كان يستخدمنا فقط لتحقيق أهدافه الخاصة، ثم يتخلص منا؟"

"عندها... عندها سنواجه هذا الأمر معًا، كما واجهنا كل شيء آخر،" قال عمر وهو يمسك بيدها بلطف. "لن أتركِكِ أبدًا يا زينب".

نظرت إليه زينب، وابتسمت ابتسامة حزينة ولكنها مليئة بالثقة. "وأنا لن أتركك يا عمر. نحن في هذا الأمر معًا حتى النهاية".

في تلك الليلة، ناما نومًا أعمق قليلاً من الليلة السابقة، رغم القلق الذي كان لا يزال يعتريهما. كانا يشعران بأنهما وصلا إلى مرحلة حاسمة في رحلتهما. لقد كشفا جزءًا من السر، ووجدا حليفًا محتملاً، ولكنهما أيضًا دخلا إلى قلب العاصفة السياسية التي كانت تهدد بابتلاع الأندلس. كانت ليلة الحسم قد بدأت في قلعة العقاب، ولم يكن أحد يعرف كيف ستنتهي.

الفصل الحادي عشر

غبار المعركة ورماد المؤامرة

مرّت الأيام في قلعة العقاب ثقيلة ومملوءة بالترقّب. كان عمر وزينب يعيشان في جناحهما الخاص، تحت حماية محمد بن أبي عامر ورجاله، ولكنهما كانا يشعران بأنهما طائران في قفص، ينتظران بصبر نافد أخبارًا من قرطبة، أخبارًا عن مصير الأستاذ داود، وعن نجاح مهمة رسول ابن أبي عامر في الحصول على المخطوط أو بقية أسراره.

كان ابن أبي عامر يزورهما بين الحين والآخر، يطلعهما على بعض الأخبار العامة التي تصل إليه من جواسيسه في المدينة، ولكنه كان حذرًا في كشف الكثير. أكّد لهما أن البحث عنهما لا يزال مستمرًا من قبل رجال الحاجب المصحفي، ومن قبل جهات أخرى مجهولة (يُفترض أنها تابعة للصقالبة)، وأن الأجواء في قرطبة مشحونة بالتوتر والشائعات.

"الصبر يا أعزّائي،" كان يقول لهما بابتسامته الواثقة. "الحرب السياسية تتطلب صبرًا ودهاءً. يجب أن ننتظر اللحظة المناسبة للتحرّك. ورجلي المخلص في طريقه الآن إلى صديقكم اليهودي. قريبًا سنعرف كل شيء، وسنكون مستعدين لضرب ضربتنا".

لكن هذا الانتظار كان يقتل عمر وزينب ببطء. كانا يقضيان وقتهما في القراءة والحديث، ومحاولة تحليل الموقف المعقّد الذي وجدا نفسيهما فيه. كانت علاقتهما تزداد عمقًا يومًا بعد يوم، يجد كلّ منهما في الآخر السند والقوة لمواجهة المجهول. ولكنهما أيضًا كانا يشعران بالقلق المتزايد على الأستاذ داود، وعلى عائلة زينب، وعلى مصير قرطبة نفسها.

في إحدى الليالي، وبعد حوالي أسبوع من وصولهما إلى القلعة، جاء ابن أبي عامر إليهما، وعلامات الجدية

والقلق بادية على وجهه بشكل أكبر من المعتاد.

"لقد عاد رسولي من قرطبة،" قال لهما مباشرة. "ولكن الأخبار ليست كلّها جيدة".

شعر عمر وزينب بالخوف يتسرّب إلى قلبيهما.

"ماذا حدث؟" سأل عمر بقلق. "هل هو بخير؟ هل حصل على المخطوط؟"

"رسولي بخير، وقد تمكّن من الوصول إلى الأستاذ داود بحذر شديد،" قال ابن أبي عامر. "ولكن يبدو أن الأستاذ داود كان يتوقع

الأسوأ، أو أنه لم يثق تمامًا برسولي. لم يسلّمه المخطوط الأصلي، ولكنه أعطاه نسخة مشفّرة أخرى تحتوي على بقية الأسماء والتواريخ والخطة الكاملة للمؤامرة، بالإضافة إلى رسالة شفهية مشفّرة أيضًا، يقول فيها إن المخطوط الأصلي في مكان آمن جدًا لن يكشف عنه إلا عندما يتأكد من أن المعلومات ستُستخدم للغرض الصحيح".

"وما هي الخطة الكاملة للمؤامرة؟" سألت زينب بلهفة.

"الخطة أخطر مما كنا نتصوّر،" قال ابن أبي عامر وصوته يخفت قليلاً. "الصقالبة لا ينوون فقط استغلال مرض الخليفة ومنع ولاية العهد لهشام، بل يخططون لاغتيال الخليفة نفسه، واغتيال الحاجب المصحفي، وعدد من كبار القادة العسكريين والفقهاء الذين قد يعارضونهم، وذلك خلال احتفال ديني كبير سيُقام في المسجد الجامع بقرطبة بعد ثلاثة أيام فقط! يريدون إحداث مجزرة والاستيلاء على السلطة بالقوة الغاشمة، ثم تنصيب زعيمهم، فائق النجدة، كحاكم فعلي للأندلس".

صُدم عمر وزينب من هول هذه المعلومات.

اغتيال الخليفة؟ مجزرة في المسجد الجامع؟ هذا لم يكن مجرد مؤامرة سياسية، بل كان خيانة عظمى وفتنة كبرى ستهزّ أركان الدولة.

"ثلاثة أيام فقط!" قال عمر بصوت مرتجف. "يجب أن نتحرك فورًا يا سيدي! يجب أن نوقفهم!"

"أعرف،" قال ابن أبي عامر بحزم. "وهذا ما سأفعله. لقد حانت اللحظة التي كنت أنتظرها. هذه المؤامرة، رغم خطورتها، هي
فرصتي للقضاء على الصقالبة، وإظهار ولائي للخليفة وللشرعية، وكسب ثقة الناس والجيش".

"ولكن كيف ستفعل ذلك يا سيدي؟" سألت زينب. "الصقالبة يسيطرون على الحرس الخاص، ولهم نفوذ كبير في الجيش. أيّ مواجهة مباشرة قد تكون دموية وغير مضمونة النتائج".

"لن تكون هناك مواجهة مباشرة في البداية،" قال ابن أبي عامر وعيناه تلمعان بالدهاء. "سنستخدم سلاحهم ضدهم: الخداع والمفاجأة. لديّ خطة. سأغادر هذه القلعة الليلة مع خيرة رجالي، وسنتسلل إلى قرطبة سرًّا. سنتواصل مع بعض القادة العسكريين المخلصين الذين أثق بهم، والذين يكرهون الصقالبة مثلي. وسنستعدّ لضرب المتآمرين في لحظة تنفيذهم لخطتهم، داخل المسجد الجامع نفسه".

"داخل المسجد؟" قال عمر بدهشة. "ألن يكون ذلك خطيرًا جدًا؟ وماذا عن الخليفة والمصلّين الأبرياء؟"

"سيكون الأمر خطيرًا، نعم،" قال ابن أبي عامر. "ولكنه المكان الوحيد الذي يمكننا فيه القبض على جميع رؤوس المؤامرة متلبّسين. سنعمل على حماية الخليفة وتأمين سلامة المصلّين قدر الإمكان. سننشر رجالنا في أماكن استراتيجية، وسنتحرّك بسرعة وحسم عند

بدء الهجوم. ستكون معركة قصيرة وحاسمة، نأمل أن تنتهي قبل أن تسيل الكثير من الدماء البريئة".

"وماذا عنّا يا سيدي؟" سألت زينب. "هل سنبقى هنا؟"

"نعم،" قال ابن أبي عامر. "هذا المكان هو الأكثر أمنًا لكما الآن. لا أريد أن أعرّضكما لأيّ خطر إضافي".

بَقاؤكما هنا هو ضمانةٌ لي أيضًا. إذا نجحتْ خطتي، فسأعود إليكما، وسنقرر معًا الخطوة التالية بشأن المخطوط الأصلي ومصيركما. وإذا فشلتْ... حسنًا، عندها لن يهمّ أيُّ شيءٍ آخر.

شعر عمر وزينب بمزيج من الخوف والإثارة. كانت خطة ابن أبي عامر جريئة ومحفوفة بالمخاطر، ولكنها أيضًا بدت وكأنها الأمل الوحيد لإيقاف الكارثة الوشيكة.

"نتمنى لك التوفيق يا سيدي،" قال عمر بصدق. "وندعو الله أن يحفظك ويحفظ قرطبة".

"سنحتاج إلى أكثر من الدعاء،" قال ابن أبي عامر بابتسامة خفيفة. "سنحتاج إلى الشجاعة والدقة والتوقيت المثالي. والآن، يجب أن أذهب لأستعد. ابقيا هنا، وكونا حذرين. قاسم ورجاله سيظلون هنا لحمايتكما".

غادر ابن أبي عامر، وترك عمر وزينب يواجهان ليلةً أخرى طويلة من الانتظار والقلق. ولكنهما هذه المرة كانا يعرفان أن الساعات القادمة ستكون حاسمة لمصيرهما ولمصير الأندلس كلها.

مرّ اليومان التاليان ببطءٍ شديد. لم تصل أيّ أخبار من قرطبة. كانت القلعة هادئةً بشكلٍ مخيف، والحراس يقومون بواجبهم بصمت. حاول عمر وزينب إشغال نفسيهما بالقراءة، ولكنهما لم يستطيعا التركيز. كانا يفكران فقط فيما يجري في قرطبة، وفي المعركة الوشيكة داخل المسجد الجامع.

في اليوم الثالث، يوم الاحتفال الديني ويوم تنفيذ المؤامرة المزعومة، بلغ التوتر ذروته. كانا يجلسان في غرفتهما، يستمعان إلى أيّ صوتٍ قادمٍ من الخارج، ويتخيلان سيناريوهات مختلفة لما قد يحدث. هل سينجح ابن أبي عامر في إحباط المؤامرة؟ هل سيتم القبض على الصقالبة؟ هل سيسقط ضحايا أبرياء؟

في وقتٍ متأخرٍ من بعد الظهر، سمعا جلبةً وضوضاء قادمةً من ساحة القلعة. أصوات رجال وصهيل خيول. خرجا إلى النافذة بحذر، ورأيا مجموعةً من الفرسان يدخلون القلعة، يبدو عليهم التعب والإرهاق، وتغطي ملابسهم ودروعهم آثار الغبار والدم.

لم يكن ابن أبي عامر بينهم. شعر عمر وزينب بالخوف يسيطر عليهما. هل فشلت الخطة؟ هل قُتل ابن أبي عامر؟

بعد لحظات، دخل عليهما القائد قاسم، وكان وجهه متعبًا ولكنه يحمل تعابير الارتياح والنصر.

"لقد نجحنا!" قال قاسم بصوتٍ متهدجٍ من الإرهاق. "لقد تم إحباط المؤامرة!"

"وابن أبي عامر؟ هل هو بخير؟" سألت زينب بلهفة.

"السيد بخير، والحمد لله،" قال قاسم. "لقد كان بطلاً حقيقيًا. قاد الهجوم بنفسه داخل المسجد، وتمكن رجالنا من القبض على زعيم الصقالبة فائق النجدة ومعظم قادة المؤامرة متلبسين وهم يحاولون الوصول إلى الخليفة. كانت هناك معركة قصيرة ولكنها عنيفة، وسقط بعض القتلى والجرحى من الطرفين، ولكن تمّت السيطرة على الموقف بسرعة".

"والخليفة؟ هل هو آمن؟" سأل عمر.

"نعم، الخليفة آمن، ولم يُصَبْ بأذى. وكذلك الحاجب المصحفي، الذي كان هدفًا آخر للمتآمرين. لقد كان السيد ابن أبي عامر هو من أنقذ الموقف، والجميع في قرطبة الآن يتحدثون عن شجاعته وولائه".

شعر عمر وزينب بموجةٍ عارمةٍ من الارتياح والفرح. لقد انتهى الكابوس! لقد تمّ إيقاف المؤامرة، ونجا الأبرياء.

"ومتى سيعود السيد ابن أبي عامر إلى هنا؟" سألت زينب.

"لن يعود قريبًا،" قال قاسم. "الأمور لا تزال معقدةً في قرطبة. صحيح أن رؤوس المؤامرة قد قُبِضَ عليهم، ولكن لا يزال هناك الكثير من أتباعهم في الجيش وفي المدينة. والسيد ابن أبي عامر مشغولٌ الآن بتعزيز موقعه، وتطهير الجيش من الخونة، وكسب ثقة الخليفة والمصحفي. لقد أصبح الآن الرجل الأقوى في قرطبة بعد ما حدث".

"وماذا عنا نحن؟" سأل عمر. "هل نحن أحرار الآن؟ هل يمكننا العودة إلى قرطبة؟"

تردد قاسم قليلاً قبل أن يجيب: "السيد ابن أبي عامر لم ينسكما. لقد أرسل لي رسالة يقول فيها إنكما لا تزالان تحت حمايته، وإنكما آمنان هنا في القلعة. ولكنه يطلب منكما البقاء هنا لفترةٍ أخرى حتى تهدأ الأمور تمامًا في قرطبة. لا يزال هناك خطر من أن يحاول أتباع الصقالبة الانتقام، أو أن يحاول المصحفي نفسه معرفة المزيد عنكما وعن المخطوط".

السيد يقول إن بقاءكما هنا هو الأفضل لسلامتكما في الوقت الحالي.

شعر عمر وزينب بخيبة أمل بسيطة. كانا يأملان في العودة إلى حياتهما الطبيعية، ولكن يبدو أن الأمر لم ينتهِ بعد. لا يزالان بيدقين في لعبة السلطة، ولا يزال مصيرهما معلقًا بقرار ابن أبي عامر.

"وماذا عن الأستاذ داود؟" سألت زينب بقلق. "هل هو بخير؟"

"نعم، الأستاذ داود بخير،" قال قاسم. "لقد تأكد رجالنا من سلامته بعد انتهاء الأحداث. وهو لا يزال يحتفظ بالمخطوط الأصلي في مكانٍ آمن كما قال".

"وهل سيسمح لنا السيد ابن أبي عامر بالتواصل معه أو زيارته قريبًا؟" سأل عمر.

"لا أعرف،" قال قاسم. "علينا انتظار أوامر السيد. ولكن يمكنني أن أؤكد لكما أنه يقدّر كثيرًا الدور الذي لعبتماه في كشف المؤامرة، وأنه لن ينسى ذلك".

غادر قاسم، وترك عمر وزينب مرةً أخرى مع أفكارهما ومخاوفهما. لقد انتهت المعركة الكبرى، ولكن يبدو أن الحرب السياسية لا تزال مستمرة. لقد نجوا من غبار المعركة، ولكن رماد المؤامرة لا يزال يتطاير في الهواء، ولا يزال يهدد بحرق كلِّ من يقترب منه.

كان عليهما أن يستمرا في الانتظار، وأن يثقا بأن ابن أبي عامر سيفي بوعده لهما في النهاية.

الفصل الثاني عشر

فجر جديد؟ أم غسق طويل؟

مرت أسابيع أخرى في قلعة العقاب. بدأت حرارة الصيف تخفّ قليلاً، وحملت الرياح التي تهبّ عبر الجبال رائحة الخريف القادم. كانت الأخبار تصل من قرطبة بشكل متقطع، تحملها رسائل من ابن أبي عامر أو تقارير شفهية من رجاله. كانت الصورة التي تتشكل تدريجيًّا هي صورة أندلس تتغير بسرعة، وقرطبة تدخل عصرًا جديدًا تحت ظل رجل واحد: محمد بن أبي عامر.

لقد استغلّ ابن أبي عامر إحباط مؤامرة الصقالبة ببراعة فائقة. لم يكتفِ بالقبض على قادة المؤامرة وإعدامهم بتهمة الخيانة العظمى، بل قام بحملة تطهير واسعة في صفوف الجيش والحرس، أقصى فيها كلَّ من كان يُشتبه في ولائه للصقالبة، وعيَّن بدلاً منهم رجالاً يدينون له بالولاء المطلق، خاصة من البربر والجنود القادمين من الأرياف.

كما نجح في كسب ثقة الخليفة المريض الحكم الثاني، الذي رأى فيه المنقذ الذي حمى عرشه وحياة ابنه الصغير هشام. والأهم من ذلك، أنه استطاع تحييد الحاجب القوي جعفر المصحفي. فبينما كان المصحفي لا يزال يحتفظ بمنصبه اسميًّا، إلا أن نفوذه الحقيقي بدأ يتضاءل بسرعة أمام النفوذ المتزايد لابن أبي عامر، الذي أصبح يسيطر فعليًّا على الجيش وعلى دوائر القرار المقرَّبة من الخليفة.

كان ابن أبي عامر يرسل رسائل مطمئنة إلى عمر وزينب، يؤكد لهما أنه لم ينسهما، وأن سلامتهما لا تزال من أولوياته. ولكنه أيضًا كان يطلب منهما المزيد من الصبر. "الأمور لا تزال حساسة في قرطبة"، كتب في إحدى رسائله. "لا يزال هناك أعداء يتربصون بي وبكلِّ من يرتبط بي. بقاؤكما في قلعة العقاب هو الأضمن لكما ولي في الوقت الحالي. قريبًا، عندما تستقر الأمور تمامًا، سأرسل في طلبكما، وسنقرر معًا مستقبل المخطوط ومستقبلكما".

كان عمر وزينب يفهمان منطقه، ولكنهما أيضًا كانا يشعران بالقلق. هل أصبحا سجينين لهذا الرجل القوي الذي يدينان له بحياتهما؟ هل سيستخدمهما كورقة مساومة في صراعاته السياسية المستقبلية؟ وماذا عن حياتهما الخاصة؟ هل يمكن أن يكون لهما مستقبل معًا في ظل هذه الظروف الغامضة؟

في أحد الأيام، وصل رسول من ابن أبي عامر يحمل رسالة مختلفة. لم تكن مجرد تطمينات وطلب بالصبر، بل كانت دعوة لهما للقدوم إلى قرطبة.

"السيد ابن أبي عامر يدعوكما للحضور إلى قصره الجديد في قرطبة"، قال الرسول. "لقد تم تجهيز مكان آمن ومريح لكما هناك. ويقول السيد إن الوقت قد حان لمناقشة الخطوات التالية".

شعر عمر وزينب بمزيج من الإثارة والقلق. العودة إلى قرطبة! المدينة التي هربا منها، والتي شهدت بداية قصتهما ومأساتهما. هل هي آمنة حقًّا الآن؟ وماذا ينتظرهما في قصر ابن أبي عامر؟

"وهل ذكر السيد شيئًا عن الأستاذ داود أو المخطوط؟" سأل عمر الرسول.

"نعم"، قال الرسول. "السيد يقول إنه قد تم اتخاذ الترتيبات اللازمة بخصوص الأستاذ داود والمخطوط، وإنه سيناقش التفاصيل معكما عند وصولكما إلى قرطبة".

لم يكن لديهما خيار سوى قبول الدعوة. استعدّا للرحلة، وودّعا القائد قاسم ورجال القلعة الذين أحسنوا معاملتهما خلال فترة إقامتهما. رافقهما الرسول ومعه حراسة مشددة في رحلة العودة إلى قرطبة. كانت الرحلة هذه المرة مختلفة تمامًا عن رحلة هروبهما. كانا يسيران في وضح النهار، على طرقات آمنة، وتحت حماية رجال ابن أبي عامر الأقوياء.

عندما وصلا إلى قرطبة، بدت المدينة مختلفة. كانت لا تزال جميلة ونابضة بالحياة، ولكن كان هناك شعور بالترقّب والحذر في الهواء. كانت صور ابن أبي عامر، أو شعارات تدل عليه، منتشرة في بعض الأماكن. وكان الجنود الذين يحرسون الشوارع والبوابات يبدون أكثر صرامةً وانضباطًا من ذي قبل.

تم اصطحابهما مباشرة إلى قصر فخم وحديث البناء، يقع في أحد الأحياء الراقية بالقرب من مدينة الزهراء. كان هذا هو قصر ابن أبي عامر الجديد، الذي يعكس مكانته المتصاعدة في الدولة. استقبلهما ابن أبي عامر بنفسه في قاعة استقبال فخمة، وكان يبدو أكثر ثقةً وسلطة من المرة السابقة التي قابلاه فيها في قلعة العقاب.

"أهلاً بكما في قرطبة من جديد"، قال بابتسامة ودودة ولكنها تحمل أيضًا نبرة المنتصر. "أتمنى أن تكون إقامتكما في قلعة العقاب مريحة، وأن تكون رحلة عودتكما آمنة".

"نشكر لك كرمك وحمايتك يا سيدي"، قال عمر باحترام. "ونحن ممتنّان لك على كل ما فعلته من أجلنا ومن أجل قرطبة".

"لقد فعلتُ واجبي فقط"، قال ابن أبي عامر بتواضعٍ مصطنع. "والآن، لنتحدث عن المستقبل".

مستقبلكما، ومستقبل ذلك المخطوط الذي سبّب كل هذه المشاكل.

جلسوا، وقدّم لهم الخدم بعض المرطبات. ثم قال ابن أبي عامر: "لقد فكّرت طويلاً في أمر هذا المخطوط. إنه يحمل أسرارًا خطيرة، وأفكارًا قد تكون هدامة إذا وقعت في الأيدي الخطأ. وفي نفس الوقت، هو قطعة نادرة من التراث الفكري والفلسفي. لا يمكننا تدميره، ولا يمكننا تركه لينتشر بين العامة أو يستغله أعداء الدولة".

"وما هو الحل إذن يا سيدي؟" سألت زينب.

"الحل هو أن يبقى سرًّا، سرًّا محفوظًا بعناية، لا يعرف به إلا عدد قليل جدًّا من الأشخاص الموثوقين"، قال ابن أبي عامر. "لقد تحدّثت مع الأستاذ داود. إنه رجل حكيم ومخلص، وقد وافق على أن يبقى المخطوط الأصلي في مكان آمن تحت حراسة مشددة، وأن يتم عمل نسخة واحدة فقط منه، نسخة منقحة وخالية من الرموز الخطيرة، توضع في مكتبة الخليفة للاستفادة من حكمتها الفلسفية دون أن تُسبب أي ضرر".

"وهل الأستاذ داود بخير؟ هل يمكننا رؤيته؟" سأل عمر بلهفة.

"الأستاذ داود بخير وصحة جيدة، وهو يُقدّر لكما قلقكما عليه"، قال ابن أبي عامر. "ولكنه يفضل، وأنا أوافقه الرأي، أن يبتعد عن الأضواء في الوقت الحالي. لقد تعرّض لخطر كبير بسبب هذا المخطوط، ومن الأفضل لسلامته أن يعود إلى حياته الهادئة كعالم وباحث، وأن ينسى الناس تدريجيًّا علاقته بهذه القضية. ولكن يمكنني أن أرتّب لكما لقاءً سرّيًا وخاصًّا معه إذا أردتما ذلك".

شعر عمر وزينب بالارتياح لسماع أن الأستاذ داود بخير، وتأثّرا بحكمته وحرصه على السلامة.

"نشكرك على ذلك يا سيدي"، قالت زينب. "سنكون ممتنّين لو أُتيحت لنا فرصة شكره والاطمئنان عليه بأنفسنا".

"سيتم ذلك"، قال ابن أبي عامر. "والآن، لنتحدّث عنكما. لقد لعبتما دورًا مهمًّا في كشف المؤامرة، وقد تعرّضتما لخطر كبير. وأنا مدين لكما بالكثير. أريد أن أكافئكما على شجاعتكما وولائكما. أخبراني، ماذا تريدان؟ هل تريدان العودة إلى حياتكما السابقة؟ هل تريدان منصبًا أو وظيفة في الدولة؟ هل تريدان مالاً أو أرضًا؟ اطلبا ما شئتما، وسأحققه لكما قدر استطاعتي".

نظر عمر وزينب إلى بعضهما البعض. كانت هذه هي اللحظة التي كانا ينتظرانها. فرصة للبدء من جديد، وتحقيق أحلامهما. ولكن ماذا كانا يريدان حقًّا؟

تحدّث عمر أولاً: "سيدي، أنا في الأصل ناسخ وكاتب. حلمي الأكبر هو أن أتمكّن من مواصلة عملي في خدمة العلم والمعرفة، ولكن في بيئة آمنة ومستقرة. إذا كان بإمكانك أن توفّر لي فرصة للعمل في إحدى المكتبات الكبرى، أو حتى في ديوان الإنشاء الخاص بك، سأكون ممتنًّا لك إلى الأبد".

ابتسم ابن أبي عامر. "طلب متواضع ومعقول يا عمر. أعتقد أنني أستطيع أن أجد لك مكانًا مناسبًا في ديواني. أحتاج دائمًا إلى

كُتّاب مهرة ومخلصين. سنبحث لك عن وظيفة تليق بموهبتك وولائك".

ثم التفت إلى زينب. "وأنتِ يا آنسة زينب؟ ماذا عنكِ؟ هل تريدين العودة إلى عائلتك؟ هل تحلمين بالزواج وتكوين أسرة؟"

احمرّ وجه زينب قليلاً، ولكنها أجابت بثبات: "سيدي، عائلتي هي أهم شيء بالنسبة لي. وأريد أن أطمئن على سلامة والدي وأعود إليهم. ولكنني أيضًا تعلّمت الكثير خلال هذه المحنة. اكتشفت أن لدي اهتمامًا بالعالم وبشؤون السياسة والتاريخ. إذا كان هناك أي مجال يمكنني فيه أن أخدم الدولة أو أُساهم بمعرفتي المتواضعة، فسأكون سعيدة بذلك. ربما... ربما يمكنني المساعدة في تنظيم مكتبة القصر، أو في ترجمة بعض النصوص، أو حتى في تقديم المشورة بناءً على ما تعلّمته من رحلات والدي ومعرفتي باللغات".

نظر ابن أبي عامر إلى زينب بإعجاب متزايد. "أنتِ فتاة مميزة حقًّا يا زينب. ذكية، وشجاعة، وطموحة. أعتقد أن لديكِ الكثير لتقدميه. سأتحدث مع والدك عند عودته، وسأرى كيف يمكننا الاستفادة من مواهبك بطريقة تليق بكِ وبمكانتك".

ثم نظر إليهما معًا، وقال بنبرة أكثر شخصية: "أرى أن هناك رابطًا قويًّا بينكما. لقد مررتما بالكثير معًا، وواجهتما الخطر بشجاعة. هل... هل تُفكّران في مستقبل مشترك؟"

تبادل عمر وزينب النظرات مرة أخرى، وكانت عيونهما تحمل إجابة واضحة. ابتسم عمر وقال: "نعم يا سيدي. لقد وجدنا في بعضنا البعض السند والقوة والحب".

"ونأمل أن تسمح لنا الظروف بأن نبني حياةً معًا".

"أتمنى لكما كل التوفيق"، قال ابن أبي عامر بابتسامة دافئة. "وسأفعل ما بوسعي لمساعدتكما على تحقيق ذلك. ولكن تذكّرا دائمًا، أنتما الآن جزء من دائرتي المقرّبة. ولاؤكما لي هو ضمان أمنكما وسعادتكما. طالما أنتما مخلصان لي، فسأكون دائمًا حاميًا وداعمًا لكما".

كانت كلماته تحمل وعدًا بالحماية، ولكنها أيضًا تحمل تحذيرًا مبطّنًا. لقد أصبحا الآن مرتبطين بمصير هذا الرجل القوي، وعليهما أن يسيرا بحذر في هذا العالم الجديد من السياسة والسلطة.

في الأيام والأسابيع التالية، بدأت حياة عمر وزينب تأخذ شكلاً جديدًا. تم تعيين عمر كاتبًا في ديوان ابن أبي عامر، حيث أثبت جدارته بسرعة بفضل خطّه الجميل ومعرفته الواسعة. أما زينب، فقد عادت إلى عائلتها بعد عودة والدها، الذي كان سعيدًا جدًّا برؤيتها سالمة، وممتنًّا لابن أبي عامر على حمايتها. وبفضل تدخّل ابن أبي عامر، سُمح لزينب بالتردد على مكتبة القصر، والمساهمة في تنظيمها وترجمة بعض النصوص، مما أشبع شغفها بالعلم والمعرفة.

تم ترتيب لقاءٍ سرّي ومؤثّر بينهما وبين الأستاذ داود، الذي بدا متعبًا ولكنه كان سعيدًا برؤيتهما بخير. شكرهما على شجاعتهما، وحذّرهما مرة أخرى من مخاطر السياسة، ودعا لهما بالتوفيق في حياتهما الجديدة.

أما عن علاقتهما، فقد استمرت في النمو والتطوّر. كانا يلتقيان كلما سنحت الفرصة، يتبادلان الأحاديث والأحلام، ويخطّطان لمستقبلهما المشترك. وبمباركة من عائلة زينب ودعم من ابن أبي عامر، تمت خطبتهما، وبدآ يستعدّان للزواج.

كان يبدو أن الأمور تسير نحو نهاية سعيدة. لقد نَجَوا من المؤامرة، ووجدوا الحب، وبدأوا حياةً جديدة تحت رعاية الرجل الأقوى في الأندلس. ولكن في بعض الليالي الهادئة، كان عمر وزينب ينظران إلى قرطبة من شرفة منزلهما الجديد، ويتساءلان: هل هذا فجر جديد حقًّا للأندلس؟ أم أنه مجرد غسق طويل، يخفي وراء بريق السلطة الجديدة صراعات أخرى قادمة، وتحديات جديدة تنتظر هذه المدينة العريقة؟

لقد تعلّما من تجربتهما أن السياسة لعبة معقّدة ومتقلّبة، وأن الأقنعة يمكن أن تسقط في أي لحظة، وأن الثقة عملة نادرة. لقد أصبح محمد بن أبي عامر، الذي عُرف لاحقًا بالمنصور، هو الحاكم الفعلي للأندلس، وبدأ عصرًا جديدًا من القوة العسكرية والتوسّع، ولكنه أيضًا عصر من التشدّد وقمع الحريات الفكرية في بعض

الأحيان. فهل كانا قد ساهما، دون قصد، في صعود نجمٍ قد يحرق الأندلس في النهاية؟

تركا هذا السؤال معلّقًا في الهواء، كسرٍّ غامضٍ آخر في تاريخ قرطبة المعقّد. كل ما كانا يعرفانه هو أنهما معًا، وأن حبّهما هو النور الوحيد الذي يمكنهما الوثوق به في هذا العالم المليء بالظلال والأسرار. لقد بدأت قصتهما بمخطوطٍ غامض، ولكنها انتهت بقصة حبٍّ حقيقية، قصة وُلدت في قلب الخطر، وازدهرت في ظل السلطة، وستبقى محفورة في ذاكرة أزقّة قرطبة إلى الأبد.

المحتويات

إهداء 3

تمهيد 4

الفصل الأول 5

الفصل الثاني..... 13

الفصل الثالث 23

الفصل الرابع..... 32

الفصل الخامس 44

الفصل السادس..... 52

الفصل السابع 61

الفصل الثامن 70

الفصل التاسع 80

الفصل العاشر..... 91

الفصل الحادي عشر..... 101

الفصل الثاني عشر..... 110

في قلب قرطبة الزاهرة، عاصمة الخلافة الأموية في أوج مجدها، يعيش عمر، الناسخ الشاب الذي يحلم بالمعرفة بين رفوف دكانه المتواضع في زقاق الوراقين. تنقلب حياته الهادئة رأساً على عقب عندما يكلفه إسحاق بن مروان، التاجر الثري الغامض وذو النفوذ، بنسخ مخطوط قديم شديد السرية والخطورة خلال ثلاثة أيام فقط، مع تحذير شديد من إفشاء الأمر. بينما يغوص عمر في فك طلاسم المخطوط المكتوب بلغة قديمة، يكتشف رموزاً غريبة مخبأة في هوامشه، تثير فضوله وشكوكه حول طبيعة النص الحقيقية. يجد عمر نفسه متورطاً في عالم من الأسرار المخبأة بين السطور، ويشعر بأن هذا المخطوط ليس مجرد نص فلسفي، بل مفتاح لمؤامرة قد تهدد استقرار الأندلس بأكملها. بين أزقة قرطبة العتيقة ودهاليز السلطة المظلمة، وبمساعدة من شخصيات أخرى مثل العالم اليهودي الحكيم داود، يخوض عمر رحلة محفوفة بالمخاطر لكشف الحقيقة، مستعيناً بذكائه وشجاعته، ومواجهاً صراعاً بين واجبه وفضوله، وبين الخوف والأمل في كشف سر قرطبة قبل فوات الأوان.